العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

سقوط الاندلس قراءة في الظروف والأسباب من خلال الكتابات الاسبانية

إعداد الطالب :

– طيبي أحمد

تحت إشراف :

بوسالم أحلام

السنة الجامعية : 2026/2025

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الدكتور مولاي الطاهر –سعيدة–

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

سقوط الاندلس قراءة في الظروف والأسباب من خلال الكتابات الاسبانية

إعداد الطالب :

– طيبي أحمد

تحت إشراف :

بوسالم أحلام

د.	جامعة سعيدة	رئيسا
د . بوسالم أحلام	جامعة سعيدة	مشرفا
د .	جامعة سعيدة	مناقشا

السنة الجامعية : 2026/2025


بسم الله الرحمن الرحيم

اهداء

إلى من كانا سببا في وجودي ومنبع القوة والعطاء في حياتي إلى والدي العزيزين عرفانا بفضلهما وامتنانا لكل ما قدماه لي من حب ودعم ودعاء

إلى إخوتي وأخواتي سندي في الحياة وإلى أفراد عائلتي الذين أحاطوني بالمحبة والتشجيع

.إلى كل أستاذ علمني حرفا وكل من ساهم في بناء مسيرتي العلمية وكان له أثر في بلوغي هذه المرحلة

إلى كل من وقف إلى جانبي وشجعني بكلمة طيبة وساندني في مسيرتي الجامعية

إلى كل من أحبهم ويحبون لي الخير أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع راجيا من الله أن يجعله علما نافعا وخطوة موفقة في مسيرتي

شكر وعرفان

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل، وأعاننا على بلوغ هذه المرحلة من مسيرتنا العلمية، فله الحمد والشكر أولا وآخرا.

نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الأستاذة المشرفة **بوسالم أحلام**، على قبولها الإشراف على هذه المذكرة، وعلى ما قدمته لنا من توجيهات علمية ونصائح قيمة وملاحظات بناءة كان لها بالغ الأثر في إنجاز هذا العمل وإخراجه في صورته النهائية.

كما نتوجه بخالص الشكر والتقدير إلى جميع أساتذة قسم العلوم الإنسانية شعبة التاريخ بكلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية جامعة الدكتور مولاي الطاهر – سعيدة، على ما بذلوه من جهود في سبيل تكويننا وتزويدنا بالمعارف العلمية والمنهجية طوال مسيرتنا الجامعية.

ولا يفوتنا أن نعبر عن امتناننا لكل من ساهم في إنجاز هذه المذكرة سواء بالمساعدة أو التوجيه أو التشجيع ولكل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد.

وفي الختام نسأل الله أن يجزي الجميع عنا خير الجزاء وأن يوفقهم في مسيرتهم العلمية والعملية وأن يجعل هذا العمل المتواضع ثمرة نافعة للعلم والمعرفة.

قائمة المختصرات :

بالغة العربية

تح: تحقيق

ج: جزء

در: دراسة

دط: دون طبعة

ص: صفحة

ط: طبعة

م:ميلادي

مج: مجلد

هـ: هجري

بالغة الإسبانية

P : page

Opcit : المرجع السابق

Ibid : المرجع نفسه

مقدمة

يُعدّ تاريخ الأندلس من أهم الموضوعات التي شغلت المؤرخين والباحثين لما يمثله من تجربة تاريخية وحضارية متميزة في تاريخ الغرب الإسلامي وفي تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية بصفة عامة فمنذ دخول المسلمين إلى الأندلس سنة 92هـ/711م، شهدت المنطقة تحولات سياسية وعسكرية وحضارية عميقة وأصبحت الأندلس على مدى قرون طويلة مركزًا مهمًا من مراكز الحضارة الإسلامية وفضاءً للتفاعل بين المسلمين والمسيحيين واليهود، كما عرفت ازدهارًا في مجالات العلم والفكر والأدب والعمران والاقتصاد غير أن هذا الحضور الإسلامي لم يستمر على وتيرة واحدة إذ مرّت الأندلس بمراحل من القوة والازدهار قابلتها فترات من الضعف والانقسام السياسي والصراع الداخلي انتهت تدريجيًا بتراجع الوجود الإسلامي وسقوط آخر معاقله السياسية بسقوط غرناطة سنة 897هـ/1492م ولم يكن سقوط الأندلس حدثًا مفاجئًا أو نتيجة عامل منفرد، وإنما جاء نتيجة مسار تاريخي طويل تداخلت فيه عوامل متعددة، كان من أبرزها الانقسامات السياسية الداخلية وتجزؤ السلطة والصراعات بين القوى الأندلسية إلى جانب تزايد قوة الممالك المسيحية في الشمال وتطور قدراتها العسكرية والسياسية فضلًا عن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي عرفتها بعض المراحل وقد ازدادت حدة هذه العوامل خلال عهد مملكة بني نصر التي استطاعت أن تحافظ على وجودها السياسي في غرناطة لقرابة قرنين ونصف، لكنها ظلت محاطة بقوى مسيحية أخذت تتوسع على حساب الأراضي الإسلامية، إلى أن انتهى الأمر بحصار غرناطة وتسليمها سنة 1492م

ويكتسب البحث في سقوط الأندلس أهمية خاصة عندما يتم الانتقال من دراسة الحدث ذاته إلى دراسة كيفية كتابة هذا الحدث وتفسيره من خلال المصادر التاريخية المختلفة إذ إن الرواية التاريخية لا تنقل الأحداث بصورة محايدة دائمًا وإنما تتأثر بالسياق الذي أنتجت فيه وبخلفية صاحبها وبالأهداف العلمية والفكرية التي تحكم كتابته ومن هذا المنطلق تأتي أهمية دراسة **سقوط الأندلس قراءة في الظروف والأسباب من خلال الكتابات الإسبانية** إذ تسمح هذه الدراسة بفهم الحدث التاريخي من خلال مجموعة من الكتابات الإسبانية التي تناولت سقوط الأندلس والكشف عن أوجه الإتفاق والإختلاف في تفسير أسبابه ونتائجه.

أهمية الموضوع

تنبع أهمية الموضوع من أهمية سقوط الأندلس باعتباره حدثًا مفصليًا في تاريخ الغرب الإسلامي ومن كونه يمثل نهاية الوجود السياسي الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية كما تتمثل أهميته في دراسة الطريقة

التي تناولت بها المصادر العربية والكتابات الإسبانية هذا السقوط ومحاولة الكشف عن اختلاف الرؤى والتفسيرات بين المؤرخين كما تكتسب الدراسة أهميتها من تناولها مدرسة بني كوديرا باعتبارها مرحلة مهمة في تطور الاستعراب الإسباني فقد ركز كوديرا على المصادر العربية، وسعى إلى تطوير منهج علمي في دراسة تاريخ الأندلس مع الاستفادة من علوم مساعدة مثل النقود والنقوش وتسمح الدراسة كذلك بإبراز أن الكتابة عن الأندلس لم تكن ثابتة وإنما شهدت تحولات في المناهج والتصورات وأن دراسة هذه التحولات تساعد على فهم كيفية تشكل صورة الأندلس الإسلامية في الذاكرة التاريخية الإسبانية

أسباب اختيار الموضوع

الأسباب ذاتية: الميل إلى دراسة المصادر والكتابات الإسبانية التي تناولت تاريخ الأندلس لما تتيحه من إمكانية التعرف على رؤية الطرف الآخر لأحداث السقوط ومقارنتها بما ورد في المصادر العربية

الأسباب الموضوعية:

أولًا: الأهمية التاريخية والحضارية التي يمثلها سقوط الأندلس في تاريخ الغرب الإسلامي

ثانيًا: الرغبة في دراسة سقوط الأندلس من خلال مصادر مختلفة وعدم الاقتصار على الرواية التاريخية العربية أو الإسبانية بصورة منفردة

ثالثًا: الاهتمام بالكتابات الإسبانية التي تناولت تاريخ الأندلس والكشف عن طبيعة رؤيتها لأسباب سقوط الحكم الإسلامي

رابعًا: أهمية دراسة مدرسة بني كوديرا باعتبارها من المدارس البارزة في تاريخ الاستعراب الإسباني ودورها في تطوير دراسة المصادر العربية والأندلسية وقد اعتُبر كوديرا مؤسسًا للمدرسة الحديثة للاستعراب الإسباني

خامسًا: محاولة فهم مدى حضور الجانب الحضاري للأندلس في الكتابات الإسبانية وما إذا كانت هذه الكتابات قد ركزت على الجانب السياسي والعسكري للسقوط فقط أم أنها اعترفت أيضًا بما حققته الحضارة الإسلامية في الأندلس من إسهامات

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف من أبرزها:

التعرّف على طبيعة الكتابات الإسبانية التي تناولت سقوط الأندلس والكشف عن أهم مصادرها واتجاهاتها في معالجة هذا الحدث التاريخي و تحليل موقف المؤرخين الإسبان من الحضارة الإسلامية في الأندلس وبيان مدى حضور مظاهر الاعتراف بإنجازاتها العلمية والعمرانية والثقافية في بعض الدراسات الإسبانية اللاحقة كذلك الكشف عن اختلاف الرؤى والتفسيرات الإسبانية لسقوط الأندلس ومقارنة مواقف المؤرخين والكتّاب باختلاف الفترات التاريخية والمدارس الفكرية التي ينتمون إليها بالإضافة إلى دراسة تطور الكتابة التاريخية الإسبانية حول الأندلس والانتقال من الكتابات ذات الطابع الديني والسياسي المرتبط بفكرة الاسترداد إلى الدراسات التاريخية الحديثة التي حاولت تقديم قراءة أكثر نقدية وموضوعية للماضي الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية و إبراز دور المصادر الإسبانية في دراسة تاريخ الأندلس مع الوقوف على ما تقدمه من معلومات وشهادات تساعد على فهم الظروف التي أحاطت بسقوط مملكة غرناطة و الإسهام في فهم أسباب سقوط الأندلس من خلال الجمع بين مختلف التفسيرات التي قدمتها المصادر الإسبانية وعدم اختزال السقوط في عامل واحد وإنما النظر إليه باعتباره نتيجة لتداخل عوامل سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية.

الدراسات السابقة

ومن بين الدراسات التي استفادت منها هذه الدراسة مقال الأستاذ فؤاد كبداني وشريف الدين بن دوبة الموسوم بـ «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية» المنشور في مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية سنة 2021، حيث تناول الباحث المراحل الأخيرة من الوجود الإسلامي في الأندلس من خلال عدد من الكتابات الإسبانية مركزًا على طبيعة تصوير هذه المرحلة وما رافقها من أحداث وتحولات أدت إلى تراجع الوجود الإسلامي وسقوط غرناطة.

الإشكالية

يُعدّ سقوط الأندلس من أبرز الأحداث التاريخية التي أنهت الوجود السياسي الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية خاصة بسقوط غرناطة وقد اختلفت الكتابات الإسبانية في تناول هذا الحدث وتفسير الظروف والأسباب التي أدت إلى انهيار الحكم الإسلامي وتسعى هذه الدراسة إلى تحليل هذه الكتابات والكشف عن طبيعة الرؤية الإسبانية لسقوط الأندلس، ومدى اختلافها في تفسير أسبابه

كما تبحث في مدى حضور الحضارة الإسلامية وإسهاماتها في الأندلس ضمن بعض الدراسات الإسبانية اللاحقة

ويتفرع عن هذه الإشكالية عدد من التساؤلات الفرعية:

كيف عرض كتاب نبذة العصر الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية التي سبقت سقوط غرناطة؟

ما أبرز العوامل التي ساهمت في ضعف مملكة بني نصر وسقوطها؟

كيف تناولت المصادر والكتابات الإسبانية مراحل تراجع الحكم الإسلامي في الأندلس؟

كيف تطورت الكتابة الإسبانية حول الأندلس من الكتابات التقليدية إلى الدراسات الاستعرابية الحديثة؟

هل اعترفت مدرسة بني كوديرا بمظاهر الازدهار الحضاري للأندلس؟

منهج البحث

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي من خلال تتبع الأحداث والتطورات التي أدت إلى سقوط الأندلس خاصة خلال المرحلة الأخيرة من تاريخ مملكة بني نصر كما تم توظيف المنهج الوصفي التحليلي في قراءة النصوص والمصادر وتحليل مضامينها والكشف عن طبيعة المواقف التي تبنتها تجاه سقوط الأندلس.

خطة البحث

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة وتحقيق أهداف الدراسة تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتتبعها خاتمة

الفصل الأول: سقوط الأندلس من خلال المصادر التاريخية الاندلسية–كتاب نبذة العصر– أنموذجا خصص هذا الفصل لتقديم صورة عن سقوط الأندلس من خلال مصدر عربي هو كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر: تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، وتم التركيز فيه على

المرحلة الأخيرة من تاريخ الأندلس وخاصة أوضاع مملكة بني نصر والعوامل السياسية والعسكرية والاقتصادية التي ساهمت في إضعافها والحصار المفروض على غرناطة ومواقف المسلمين من هذا الحصار وصولًا إلى تسليم المدينة ونزوح الأندلسيين

الفصل الثاني: سقوط الأندلس من خلال كتابات المؤرخين الإسبان (القرنان الخامس عشر إلى السابع عشر)

خصص هذا الفصل لدراسة صورة سقوط الأندلس في الكتابات الإسبانية مع التركيز على كيفية عرض المؤرخين والكتاب الإسبان للأحداث والأسباب التي أدت إلى تراجع الحكم الإسلامي وانتهاء الوجود السياسي الإسلامي في غرناطة كما يتناول الفصل مواقف هذه الكتابات من المسلمين ومن الحضارة الإسلامية في الأندلس

الفصل الثالث: سقوط الاندلس من خلال مدونة المدرسة الإستعرابية الإسبانية الحديثة (مدرسة فرانسيسكو كوديرا وتلامذته أنموذجا)

خصص هذا الفصل لدراسة مدرسة بني كوديرة باعتبارها مرحلة مهمة في تطور الاستعراب الإسباني ودراسة تاريخ الأندلس ويتضمن التعريف بفرانسيسكو كوديرا ومشروعه العلمي وخصائص منهجه في التعامل مع المصادر العربية ثم دراسة بعض أعماله وأعمال تلاميذه وممثلي مدرسته للكشف عن طبيعة تصورهم لتاريخ الأندلس ومدى اعترافهم بالمظاهر الحضارية التي عرفتها الأندلس

وفي ضوء هذه المحاور تسعى الدراسة إلى الوصول إلى جملة من النتائج التي تسمح بفهم سقوط الأندلس ليس باعتباره مجرد نهاية سياسية لحكم المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية وإنما باعتباره حدثًا تاريخيًا تعددت حوله الروايات والتفسيرات وتطورت طرق كتابته من مرحلة إلى أخرى بما يعكس اختلاف المناهج والخلفيات الفكرية للمؤرخين والباحثين الذين تناولوه

ومن ثم فإن دراسة سقوط الأندلس من خلال هذه المصادر والكتابات تتيح الوقوف على تعدد زوايا النظر إلى الحدث وتكشف في الوقت نفسه عن التحولات التي عرفتها الكتابة التاريخية الإسبانية حول الأندلس وصولًا إلى المرحلة التي أصبح فيها البحث في المصادر العربية والأندلسية جزءًا أساسيًا من الدراسات الاستعرابية الحديثة وهو ما يجعل دراسة مدرسة بني كوديرة امتدادًا طبيعيًا لهذا المسار البحثي

صعوبات الدراسة:

واجهت الدراسة بعض الصعوبات من أبرزها تعدد المصادر والكتابات التي تناولت تاريخ الأندلس واختلاف توجهاتها إضافة إلى صعوبة التعامل مع بعض المؤلفات الإسبانية القديمة سواء من حيث اللغة أو المصطلحات التاريخية.

أهم المصادر والمراجع

ونافلة القول، لقد تطلب هذا الأمر لدراسة هذا الموضوع على أنواع مختلفة من المصادر ومن أهمها تم تصنيفها على الشكل التالي:

المصادر التاريخية:

وفي مقدمة المصادر العربية والأندلسية التي اعتمدت عليها الدراسة يأتي كتاب «**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**» لمؤلف مجهول بتحقيق فريد البستاني والذي شكل أساسًا مهمًا للفصل الاول لما يتضمنه من معلومات حول أوضاع مملكة غرناطة في أواخر عهد بني نصر وما رافقها من اضطرابات سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية أسهمت في إضعاف المملكة ومهدت لسقوطها وقد استفادت الدراسة من الروايات الواردة فيه في الوقوف على طبيعة الظروف الداخلية التي عاشتها غرناطة قبيل سقوطها.

المصادر الإسبانية:

ما فيما يتعلق بالمصادر الإسبانية فقد استفادت الدراسة من عدد من المؤلفات التاريخية التي عاصرت أحداث سقوط غرناطة أو اقتربت منها زمنيًا، ومن أبرزها كتاب ألفونسو فرناندیز دي بالنسيا في كتابه **Anales de la guerra de Granada** لما يقدمه من رواية للأحداث العسكرية والسياسية المرتبطة بحرب غرناطة كما تم الاعتماد على كتاب هرناندو دي بولغار في كتابه : **Cronica de los Reyes Catolicos** باعتباره من المصادر المهمة في دراسة عهد الملوك الكاثوليك وحرب غرناطة، إذ يقدم معلومات حول السياسة التي اتبعها إيزابيلا وفرديناند تجاه مملكة غرناطة ويساعد على فهم الجانب الإسباني من الأحداث التي انتهت بسقوط آخر معاقل المسلمين في الأندلس

واستفادت الدراسة كذلك من مؤلف لويس ديل مارمول كارباخال في كتابه **Historia del rebelión y castigo de los moriscos del reino de Granada**، لما يقدمه من معطيات حول المسلمين في غرناطة بعد سقوطها وما ترتب عن عملية الفتح من تحولات سياسية ودينية واجتماعية الأمر الذي يسمح بفهم بعض النتائج المترتبة عن سقوط الحكم الإسلامي كما استفادت الدراسة من بعض الكتابات الإسبانية والأوروبية اللاحقة التي تناولت الحضارة الإسلامية في الأندلس ونظرت إليها من زوايا مختلفة، ومن بينها أعمالReinhart Dozy ودراسات Gabriel Martínez-Gros حول تطور الكتابة التاريخية والاستعراب الإسباني والأوروبي إلى جانب الدراسات المتعلقة بالبربر في الكتابة التاريخية الإسبانية ومنها دراسة Helena de Felipe، Los estudios sobre bereberes en la historiografía española وقد سمحت هذه الدراسات بالتعرف على تطور النظرة الإسبانية إلى التاريخ الإسلامي في الأندلس والانتقال من الكتابات التي ركزت على الصراع والفتح والاسترداد إلى دراسات لاحقة أكثر اهتمامًا بتاريخ الحضارة الإسلامية ومكوناتها

وعليه فقد اعتمدت الدراسة على هذه المجموعة من المصادر والمراجع بهدف الجمع بين الرواية العربية والأندلسية والرواية الإسبانية المعاصرة للأحداث وبين الدراسات الإسبانية والأوروبية اللاحقة بما يسمح بتكوين رؤية نقدية متوازنة حول سقوط الأندلس.

الفصل الأول: سقوط الأندلس من خلال المصادر العربية – كتاب نبذة العصر أنموذجا –

تمهيد:

مثلت الأندلس على مدى قرون طويلة نموذجًا بارزًا للحضارة العربية الإسلامية إذ استطاعت أن تبلغ درجة متقدمة من الرقي في مختلف المجالات العلمية والفكرية والأدبية والعمرانية، حتى أصبحت إحدى أهم مراكز الإشعاع الحضاري في العالم الوسيط ولم يكن هذا الازدهار وليد ظروف عابرة، وإنما كان نتيجة تراكم تاريخي طويل أسهمت فيه عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متداخلة، جعلت من الأندلس فضاءً حضاريًا متميزًا استطاع أن يجمع بين مختلف الثقافات والمعارف، وأن ينتج عددًا كبيرًا من العلماء والمفكرين والأطباء والفلاسفة والأدباء والشعراء ومن ثمّ، فقد تجاوز الإسهام الحضاري للأندلس حدود العالم الإسلامي، وانتقلت جوانب مهمة منه إلى أوروبا، وأسهمت بصورة غير مباشرة في تشكيل بعض مظاهر النهضة الأوروبية الحديثة وقد شهدت الأندلس في مراحل قوتها استقرارًا سياسيًا نسبيًا مكّن المجتمع من توجيه جزء كبير من طاقاته نحو البناء والإنتاج العلمي والثقافي فاستقرار السلطة ووجود مؤسسات إدارية وعسكرية قادرة على حفظ الأمن كانا عاملين أساسيين في ازدهار المدن الأندلسية، التي تحولت إلى مراكز مهمة للعلم والمعرفة. كما ساعدت الحياة الاقتصادية النشطة وازدهار الزراعة والصناعة والتجارة على توفير الظروف الملائمة لنمو الحركة العلمية والثقافية وكانت قرطبة وإشبيلية وغرناطة وطليطلة وغيرها من المدن مراكز حضارية تستقطب العلماء والطلاب وتضم المكتبات والمدارس ومجالس العلم والأدب ولم تقتصر مظاهر التقدم الأندلسي على العلوم النظرية والأدبية، بل شملت أيضًا الطب والفلك والرياضيات والفلسفة والجغرافيا والهندسة والزراعة وغيرها من المجالات فقد برز علماء كان لهم حضور بارز في تاريخ الفكر الإنساني، وأصبحت مؤلفاتهم مصدرًا مهمًا للمعرفة داخل العالم الإسلامي وخارجه. كما ساهم الأدباء والشعراء في إثراء الحياة الثقافية، بينما عكست العمارة الأندلسية مستوى متقدمًا من الإبداع الفني والهندسي وهو ما[1]

يتضح في المساجد والقصور والتحصينات والمنشآت العامة التي ما تزال آثارها شاهدة على ذلك الازدهار غير أن هذه الصورة المشرقة لم تستمر على الوتيرة نفسها، إذ بدأت عوامل الضعف السياسي تظهر بصورة واضحة مع تراجع السلطة المركزية وتزايد الصراعات على الحكم. ويُعد انهيار المملكة

[1] أحمد بن محمد المقري التلمساني(ت1041هـ/1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت،1968، ج1،ص13

العامرية في أواخر القرن الرابع الهجري وبداية القرن الخامس الهجري، وما ترتب عنه من اضطرابات سياسية من أبرز المنعطفات التي مهّدت لدخول الأندلس مرحلة جديدة اتسمت بالتفكك والانقسام فقد أدى انهيار النظام السياسي الذي كان يضمن قدرًا من الاستقرار إلى اختلال موازين القوى وفتح المجال أمام تنافس مختلف القوى والأطراف على السلطة والنفوذ، الأمر الذي انعكس بصورة مباشرة على وحدة البلاد واستقرارها ومن هنا بدأت الأندلس تدخل مرحلة اتسمت بضعف السلطة المركزية وتزايد النزاعات بين مختلف القوى السياسية والعسكرية. ولم يعد الصراع مقتصرًا على التنافس حول إدارة شؤون المملكة، بل تحول في كثير من الأحيان إلى صراع على المدن والأقاليم ومراكز النفوذ وأدى ذلك إلى تفكك الوحدة السياسية التي كانت تجمع أجزاء الأندلس، وانقسمت البلاد إلى مجموعة من الإمارات والممالك المستقلة عُرفت في التاريخ باسم دول الطوائف، وقد شكّل ظهور هذه الدويلات نقطة تحول أساسية في التاريخ الأندلسي لأن الانقسام السياسي أضعف القدرة على مواجهة الأخطار الخارجية، وجعل القوى الأندلسية تستنزف إمكاناتها في صراعات داخلية بدل توجيهها نحو حماية البلاد والمحافظة على وحدتها وقد اتسم عصر الطوائف بتعدد المراكز السياسية وتنافس حكامها فيما بينهم، إذ سعى كل حاكم إلى توسيع نفوذه وتعزيز سلطته على حساب غيره. وأدى هذا الوضع إلى نشوء حالة من التنافس المستمر بين ملوك الطوائف، فبدل أن تتجه الجهود إلى توحيد الصفوف ومواجهة الخطر المسيحي المتزايد في الشمال، أصبحت الإمكانات العسكرية والاقتصادية تُستهلك في الحروب الداخلية. ولذلك وصف بعض المؤرخين هذه المرحلة بتسميات مختلفة[1]، منها ملوك الطوائف[2] وطوائف الهمل، وأمراء الفرقة، وملوك الفتنة، وهي تسميات تعكس في جانب منها طبيعة المرحلة التي اتسمت بالانقسام السياسي والاضطراب والصراع على السلطة

وقد كان لهذا الانقسام انعكاس واضح على القوة العسكرية للأندلس إذ أدى تعدد الإمارات إلى تفتيت الموارد والقدرات الدفاعية، فأصبحت كل دويلة تهتم بحماية حدودها ومصالحها الخاصة بدل وجود جيش موحد قادر على مواجهة الممالك المسيحية في الشمال، كما أدى استمرار الحروب الداخلية إلى استنزاف الرجال والأموال والعتاد، وأضعف القدرة على بناء استراتيجية دفاعية مشتركة

[1] المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المصدر السابق، ج1،ص13

[2] **ملوك الطوائف**: حكموا الأندلس بعد تدهور وتراجع الأوضاع بها،إمتد حكمهم من422هـ/479هـ_1031م/1086م،ينظر:عبد السلام الترمانيني،أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين،ج4،(ددن)،(ط1)،القاهرة،1417هـ/1997م،ص819.

ولم تكن خطورة هذا الوضع نابعة من ضعف الموارد الأندلسية في حد ذاتها وإنما من سوء توظيفها وتوزيعها نتيجة الانقسام السياسي كما أسهمت المنافسة بين ملوك الطوائف في ظهور تحالفات متغيرة، فقد كان بعض الحكام يستعينون بالقوى الخارجية ضد خصومهم من الممالك الأندلسية الأخرى، وهو ما أتاح للممالك المسيحية فرصة التدخل في الشؤون الداخلية للأندلس ومع مرور الوقت أصبح هذا التدخل أكثر تأثيرًا، وتحولت بعض الإمارات الأندلسية إلى دفع الأموال والجزية مقابل الحصول على الحماية أو تجنب الهجمات وبذلك تحولت العلاقة بين بعض ملوك الطوائف والممالك المسيحية من مجرد علاقة صراع عسكري إلى علاقة سياسية واقتصادية معقدة، أسهمت في إضعاف استقلال القرار الأندلسي[1].

[1] المقري ،**نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، المصدر السابق، ج1،ص13

من خلال كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر يعد سقوط الأندلس سنة 897هـ 1492م من أبرز الأحداث المفصلية في تاريخ العالم الإسلامي إذ مثل نهاية الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية بعد إمتداد دام قرابة ثمانية قرون ولم يكن هذا السقوط وليد اللحظة مفاجئة بل جاء نتيجة تراكم طويل من العوامل السياسية والإجتماعية والعسكرية وهو ماتبرزه بوضوح المصادر الأندلسية المتأخرة وفي مقدمتها كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر تحقيق فريد البستاني الذي يعد أهم المصادر التي أرخت للمرحلة الأخيرة من تاريخ غرناطة [1]

الإضطرابات السياسية:

عانت مملكة بني نصر[2] من ضعف واضح في بنيتها السياسية حيث اتسم نظام الحكم بعدم الاستقرار وكثرة الاضطرابات ويشير المصدر الى ذلك بقوله: **"كما انفرد معه بعضهم ووقعت بينهم حدوث و أحداث وذلك انه لما اعتزل عن قواده أخذوا أخاه محمد بن سعد وكان اصغر منه سناً فبايعوه واشتعلت نار الفتنة بينهم"**[3] تظهر مملكة بني نصر في أواخر عهدها ملامح ضعف بنيوي واضح في نظامها السياسي تجلى أساساً في غياب الإستقرار وتفاقم الاضطرابات الداخلية التي مست جهاز الحكم ذاته فقد كان نظام الحكم قائماً على توازنات هشة بين السلطان وأفراد البيت النصري من جهة، وبين كبار القادة و الوزراء من جهة أخرى، وهو ماأدى إلى كثرة الصراعات على السلطة و تكرار الإنقلابات داخل البلاط هذا الإضطراب لم يكن مجرد ظاهرة عابرة بل أصبح سمة ملازمة للحياة السياسية في غرناطة حيث تنازع الأمراء على الحكم وتعددت مراكز النفوذ مما أضعف هيبة السلطة المركزية، كما أن الإنقسامات داخل الأسرة الحاكمة نفسها مثل الصراع بين السلاطين وأبنائهم أو إخوانهم ساهمت في تعميق الأزمة السياسية و جعلت الدولة عاجزة عن إتخاذ مواقف حاسمة في مواجهة الأخطار الخارجية ومن جهة أخرى أدى غياب الإجماع السياسي إلى تعطيل مؤسسات

[1] **غرناطة** :معناها الرمانة بلسان عجم الاندلس وهي اقدم مدن كورة البيرة من أعمال الاندلس وأعظمها و أحسنها و أحصنها ينظر: شهاب الدين عبد الله ياقوت الحموي(ت626هـ)، **معجم البلدان** ، دار الصادر بيروت 1977.مجلد4 /ص195

[2] **مملكة بني نصر**: كان تاسيس مملكة بني نصر أو بني الأحمر في 635هـ/1238م على يد القائد محمد بن يوسف بن نصر بن أحمد بن غانم المعروف بابن الأحمر وينحدر من أرجونة وهي إحدى حصون قرطبة وقد لقب بالغالب بالله اما اصل التسمية فيعود نسبته ونسبة أبنائه من بعده إلى جده الأكبر عقيل بن نصر وقد جاء هذا التأسيس بعد سقوط دولة الموحدين في معركة العقاب وتولى ابن الاحمر الحكم ينظر:أحمد مختار العبادي، صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس، منشأة المعارف، الإسكندرية،د,ط،2000م ص231

[3] مؤلف مجهول ،**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر** ،تح: فريد البستاني ،(ط1)،مكتبة الثقافة الدينية ،2002،ص22

الحكم حيث لم يكن هناك إتفاق واضح حول السياسات الدفاعية أو التحالفات وهو ماإستغله خصومهم خاصة ملوك قشتالة و أراغون لتعزيز ضغطهم العسكري و السياسي على المملكة فكلما إشتد النزاع الداخلي إزدادت قدرة القوى المسيحية على التغلغل وإستثمار هذه الإنقسامات لصالحها وعليه يمكن القول إن ضعف البنية السياسية لمملكة بني نصر لم يكن نتيجة عوامل خارجية فقط بل كان بالأساس نتاجاً لأزمة داخلية عميقة تمثلت في غياب الإستقرار و تشتت القرار وتغليب المصالح الشخصية على المصلحة العامة و هو مامهد الطريق في النهاية لسقوط غرناطة سنة 1492م

ويؤكد المؤلف أن الصراعات الداخلية داخل البيت النصري كانت من أخطر الأسباب التي أسهمت في سقوط الأندلس حيث كثرت الإنقلابات والمؤامرات وتنازع أمراء الحكم فيما بينهم الأمر الذي أضعف الجبهة الداخلية ويعبر المؤلف عن ذلك بقوله: **"فتعصب أهل غرناطة مع أميرهم محمد بن سعد[1]على أهل البيازين مع أميرهم محمد بن علي على أهل غرناطة ووقع الحرب و القتال بينهم وصار يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم مال بعض الأخر".**[2]

إن الصراع الحقيقي داخل مملكة غرناطة بدأ مع وصول أبي الحسن علي بن إسماعيل المعروف بمولاي الحسن إلى الحكم سنة 868هـ/1464م، إذ كان له دور بارز في تأجيج الخلافات داخل البيت النصري، خاصة بسبب سياسته وتصرفاته التي زادت من حدة التوتر[3] وقد بدأت مظاهر الصراع بشكل خاص بين زوجته السيدة عائشة وابنها محمد أبي عبد الله الصغير من جهة وبين الأطراف المنافسة لها من جهة أخرى حيث سعت كل واحدة من النساء المتنافسات إلى ضمان العرش لابنها[4]، الأمر الذي فتح المجال أمام صراع حاد على السلطة وفي خضم هذه المنافسة تمكنت إحدى الأميرات من تعزيز نفوذها لدى السلطان والسيطرة على شؤون القصر، فأصبحت صاحبة مكانة بارزة فيه واستطاعت أن تقنع السلطان باعتقال السيدة عائشة وابنها محمد أبي عبد الله الصغير

يعد محمد بن سعد (أبو عبد الله الصغير) أخر أمراء مملكة غرناطة من بني نصر المعروف في المصادر الإسبانية ب boabdil،وقد تولى الحكم في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي إرتبط إسمه بالمرحلة الأخيرة من تاريخ الأندلس حيث شهد عهده تصاعد الضغط العسكري والسياسي من قبل الممالك المسيحية خصوصا مملكتي قشتالة واراغون إلى ان إنتهى الأمر بسقوط غرناطة.ينظر:إبن الخطيب(ت776هـ)،**الإحاطة في أخبار غرناطة**،تح:محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي ، القاهرة، دت،ج4 ،ص112

[2] مؤلف مجهول ،**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**،المصدر السابق ،ص21

[3] المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ،المصدر السابق ،ج4،ص512

[4] واشنطن ايرفينغ، سقوط غرناطة، تع: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب،(ط1)، الجزائر،1988م، ص62

إلى جانب أبي الحجاج يوسف وإيداعهم سجن قمارش[1](Comares) غير أن عائشة تمكنت من تدبير عملية فرار واتجهت إلى وادي آش ضواحي غرناطة[2] حيث واصلت نشاطها في مواجهة خصومها أين وجدت من بايع إبنها محمد أبي عبد الله الذي نظم مقاومة ضد والده وبعد ذلك اتسع نطاق الصراع داخل الأسرة الحاكمة وانقسمت مملكة غرناطة بين الأطراف المتنافسة إذ سعى كل طرف إلى تثبيت نفوذه والاستئثار بالحكم، وقد أدى هذا الانقسام إلى اندلا ع مواجهات متواصلة بين أفراد الأسرة النصريّة وتفاقم الخلاف بين السلطان وأبنائه الأمر الذي أضعف وحدة المملكة وزاد من حالة الاضطراب السياسي فيها واستمر القتال بين الأطراف المتصارعة حيث دخل بعض أفراد الأسرة الحاكمة في مواجهات مع آبائهم وإخوتهم من أجل الوصول إلى السلطة وفي النهاية أصبح الصراع على العرش عاملًا أساسيًا في إضعاف السلطة المركزية خصوصًا مع استمرار الانقسامات داخل البيت الحاكم وتعدد الأطراف المتنافسة على الحكم وفي ظل هذا الوضع الداخلي المضطرب وجدت القوات القشتالية فرصة مناسبة للتدخل والتقدم على حساب مملكة غرناطة فقد استغلت حالة الانقسام والصراع الداخلي وبدأت تكثف عملياتها العسكرية ضد المناطق الإسلامية مستفيدة من ضعف المقاومة وتشتت القوى الغرناطية وهكذا تزامن الصراع الداخلي في مملكة غرناطة مع تصاعد الضغط العسكري المسيحي مما جعل وضع المملكة أكثر هشاشة ومهّد تدريجيًا أمام جهود النصارى للقضاء على الوجود الإسلامي في المنطقة[3]

مظاهر الترف والإنحراف الإجتماعي وأثرها في إضعاف مملكة غرناطة:

ارتبطت مراحل سقوط الاندلس إلى حد كبير بتفشي مظاهر الإنغماس في الملذات و الإفراط في الترف[4] الأمر الذي انعكس سلباً على قوة المجتمع والمملكة واسهم في انتشار مظاهر الضعف و الإنحطاط[5] وأضعف القدرة على مواجهة الاخطار والتحديات التي كانت تهدد الوجود الأندلسي إذ لم

[1] **قمارش:** من أعظم وأمنع الأبراج في الحمراء عرفت بزخرفتها، ينظر: واشنطن إيرفينغ، المرجع نفسه، ص 201

[2] المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المصدر السابق،ج4،ص513

[3] مؤلف مجهول ،**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**،المصدر السابق ،ص26

[4] أحمد المختار العبادي، دراسات في تاريخ المغرب والأندلس،المرجع السابق، ص169

[5] الراغب السرجاني، قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط، ج1، مؤسسة إقرا للنشر والتوزيع،(ط1)، القاهرة،1432هـ/2011م،ص14

يكن لدى ملوك غرناطة الطموح الإسلامي الكافي للحفاظ على حدود مملكتهم[1] إذ انصرف اهتمامهم بدرجة كبيرة إلى الإرتقاء بمدينتهم مادياً والسعي إلى جعلها متفوقة في المجال العمراني[2] ولم تمض سنوات قليلة على إنشاء مملكة غرناطة على يد ابن الاحمر حتى شهدت البلاد نهضة عمرانية واضحة حيث حرصت الأسرة الحاكمة على تطوير عمرانها وإبراز مظاهر الرفاه والتقدم الحضاري فيها[3] وأدى انغماسهم المتزايد في ملذات الحياة وشهواتها إلى الإنحراف عن طريق الإعتدال والإنحدار تدريجياً نحو الهاوية إذ إنتشرت مع مرور الوقت مظاهر اللهو والترف فكثر إقتناء الجواري والمغنيات وأصبحت مجالس الشراب من المظاهر الشائعة[4] بينهم يقول صاحب نبذة العصر" **بدأ ملك الأمير أبي الحسن في التقهقر، والإنتكاس والإنتغاص، وذلك أنه انشغل بالذات، والإنهماك في الشهوات، واللهو بالنساء المطربات، وركن إلى الراحة والغفلات**" إنّ انشغال الأمير أبي الحسن بالملذات والشهوات كان من العوامل التي أسهمت في تراجع قوة مملكة غرناطة، إذ أدى انغماسه في حياة الترف واللهو إلى ابتعاده تدريجياً عن مسؤوليات الحكم ومتطلبات المرحلة التي كانت تمر بها المملكة فقد أصبحت مجالس الشراب واللهو والإكثار من النساء والجواري والمغنيات سبباً في استنزاف وقته واهتمامه في وقت كانت فيه غرناطة تواجه أخطاراً عسكرية وسياسية متزايدة من جانب مملكة قشتالة ولم يعد الترف مجرد سلوك شخصي، بل انعكس على أداء السلطة وقدرتها على اتخاذ القرارات المناسبة في الوقت المناسب، كما ساهم في إضعاف هيبة الحكم وإثارة الخلافات داخل البلاط وقد نبهنا المولى عز وجل إلى هذا الأمر في كتابه الكريم إذ قال:" **وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**"[5] فإنّ ما أشار إليه صاحب نبذة العصر من ركون الأمير إلى «الراحة والغفلات» يعكس حالة من التراخي السياسي والعسكري جعلت الدولة أقل قدرة على مواجهة خصومها ومهّدت بصورة غير مباشرة لتفاقم أزماتها الداخلية والخارجية في أواخر عهدها.

[1] عبد الحميد العبادي، المجمل في تاريخ الأندلس، دار القلم، (ط1)، بيروت،1964،ص172

[2] أحمد المختار العبادي، المرجع السابق، ص147

[3] عبد الحليم عويس، التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، دار الصحوة للنشر، (ط1)، القاهرة،1414هـ/1994م،ص29

[4] علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود العربي في الأندلس،دار قباء،(دط)، القاهرة،2001م،ص28

[5] سورة الإسراء الأية رقم 16

التفوق العسكري للنصارى:

في ظل التحولات العميقة التي شهدتها مملكة غرناطة[1] في أواخر عهدها برزت جملة من العوامل التي أسهمت في إضعاف قدرتها على الصمود أمام التقدم القشتالي حيث يقول صاحب كتاب نبذة العصر **"أتت طائفة من النصارى والمرتدين تغلبوا على حصن اندراش فملكوه وفر منه من المسلمين لإنهم كانوا شرذمة قليلة واتاهم مالا طاقة لهم عليه"**[2]لا تعبر فقط عن حالة حصار عسكري تقليدي بل تعكس مستوى متقدماً من التخطيط الإستراتيجي الذي إنتهجه ملوك قشتالة خاصة في المراحل الأخيرة من حرب غرناطة فقد إعتمدت الجيوش المسيحية على تنظيم عسكري محكم يقوم على التنسيق بين مختلف الوحدات القتالية وتوزيع الأدوار بين فرق المشاة و الفرسان إضافة إلى الأستخدام المتزايد للمدفعية وهو مامنحهم تفوقاً ميدانياً واضحاً لقد تمثل هذا التضيق في سياسة الحصار التدريجي التي لم تقتصر على العاصمة غرناطة بل شملت أيضاً المدن و الحصون التابعة لها حيث عملت القوات القشتالية على الإستيلاء على المواقع الإستراتجية المحيطة مثل القلاع و الممرات الجبلية مما أدى إلى عزل المدينة عن محيطها الطبيعي و البشري وبهذا الاسلوب أصبحت المملكة محاصرة من جميع الجهات و فقدت القدرة على تلقي الإمدادات او الدعم العسكري من الخارج كما أن هذا التنظيم العسكري تجلى في إقامة معسكرات دائمة حول مناطق القتال التى مثلت قاعدة عمليات ثابتة لإدارة الحصار وقد أتاح هذا النوع من التمركز الإستراتيجي إستمرار الضغط العسكري دون إنقطاع وهو مالم يكن مألوفاً في الحروب السابقة التي كانت تعتمد غالباً على الحملات الموسمية ومن جهة أخرى فإن إحكام الحصار لم يكن عسكرياً فقط بل كان أيضاً إقتصادياً و نفسياً إذ أدى قطع طرق التموين إلى إنتشار المجاعة داخل المدينة كما ساهم طول أمد الحصار في إنهاك السكان و إضعاف الروح المعنوية لديهم وهذا ما يجعل عبارة "كانو شرذمة قليلة واتاهم مالا طاقة لهم عليه" تحمل دلالة شاملة تشمل كل أشكال الضغط التي مورست على غرناطة ويلاحظ ان هذا النجاح في

[1] تأسست **مملكة غرناطة** سنة 635هـ\1238م على يد إبن الأحمر الأول، هذه المملكة التي كانت إمتداد للوجود الاسلامي بالأندلس، إستمرت اكثر من قرنين ونصف، حملت لواء الجهاد للدفاع عن الإسلام والمسلمين وأصبحت ملاذ المغلوبين على أمرهم ينظر : عبد الرحمان بن خلدون(ت808هـ):**ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**،ج4،مرا:سهيل زكار، دار الفكر،(د،ط)،بيروت، 1421هـ/2000م،ص219.

[2] مؤلف مجهول،**نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر** ، المصدر السابق ، ص 52.

الحصار يعود أيضاً إلى وحدة القيادة لدى الطرف المسيحي بقيادة الملكين الكاثوليكيين في مقابل حالة التشتت و الإنقسام داخل مملكة بني نصر مما جعلها عاجزة عن تنظيم دفاع أو شن هجمات مضادة لفك الحصار وعليه فإن هذه العبارة تلخص مرحلة حاسمة من الصراع حيث إنتقل ميزان القوى بشكل واضح لصالح القشتاليين بفضل تفوقهم في التنظيم العسكري والتخطيط الإستراتيجي مما أدى النهاية إلى سقوط غرناطة سنة 1492م [1]

وعندما دخل الإسبان مدينة بسطة سنة 1488م واستولوا عليها حاول المسلمون التصدي لهم والدفاع عنها وتمكنوا من الصمود في وجه الهجوم مدة ثلاثة أشهر غير أن الإسبان استطاعوا في نهاية المطاف دخول المدينة سنة 1489م وعلى إثر ذلك اضطر السلطان أبو عبد الله إلى قبول الدخول في طاعة ملك قشتالة ويورد لنا المقري جانبًا آخر من جوانب الخيانة من خلال حديثه عن الوزير يوسف بن كاشة، الذي كان من أصدقاء أبي عبد الله الصغير والمقربين منه، وكان السلطان يثق به ويأتمنه على أسراره إلا أنه كان في حقيقة الأمر يعمل جاسوسًا لصالح الملكين الكاثوليكيين. فقد كان يتصل سرًّا بأمين سرهما إيرناندو دي ثافرا الذي كان يقيم بمدينة غرناطة، ويطلعه على تحركات أبي عبد الله الصغير وأوضاعه وقد أسهمت هذه الخيانة في إضعاف موقف السلطان والمسلمين ومهّدت الطريق أمام الإسبان لإتمام سيطرتهم، وهو ما انتهى بسقوط غرناطة وخروج أبي عبد الله منها متوجهًا إلى فاس، فضلًا عن توقيعه مع الإسبان معاهدة الاستسلام سنة 1492م[2]

الأزمة المالية وأثرها في إضعاف مملكة بني نصر:

تعد الأزمة المالية من أخطر الإشكالات البنيوية التي واجهت مملكة بني نصر في أواخر عهدها إذ لم تكن مجرد أزمة ظرفية عابرة بل كانت نتيجة تراكمات طويلة من الاختلالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية. ويعبّر صاحب كتاب نبذة العصر عن هذه الوضعية الحرجة بقوله: **"ثقل المغارم وكثر الضرائب في البلدان، ومكس الأسواق، ونهب الأموال، وشح بالعطاء، إلى غير ذلك من الأمور التي لايثبت معها الملك"**[3] وهو توصيف مكثف يلخص واقعًا معقدًا من الضغوط المالية التي أثقلت

[1] مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**،المصدر السابق،ص52

[2] المقري، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المصدر السابق،ج4،ص522

[3]مؤلف مجهول ، ،المصدر نفسه،ص25

كاهل الدولة والمجتمع على حد سواء، فالمغارم بما تحمله من دلالة على الضرائب الاستثنائية والإتاوات المفروضة، تعكس لجوء السلطة إلى موارد غير اعتيادية لتعويض العجز المتزايد في بيت المال، في وقت لم تعد فيه الموارد التقليدية كافية لتغطية النفقات المتصاعدة.

لقد إرتبطت هذه الأزمة المالية ارتباطاً وثيقاً بالوضع العسكري المتدهور الذي عرفته المملكة حيث فرضت الحروب المستمرة مع الممالك المسيحية و خاصة قشتالة أعباء مالية جسيمة فالمملكة كانت مظطرة إلى تمويل جيوشها بشكل دائم وتأمين رواتب الجنود والإنفاق على تحصين المدن و القلاع فضلا عن شراء الأسلحة والعتاد وكلها نفقات تتطلب موارد ضخمة و مستقرة غير أن الواقع الإقتصادي لغرناطة في تلك المرحلة لم يكن يسمح بتحمل هذه الأعباء خاصة مع تقلص المجال الجغرافي للمملكة وفقدان العديد من المناطق الزراعية الخصبة التي كانت تشكل ركيزة أساسية للإقتصاد كما ساهم الحصار الذي فرضته القوى المسيحية في إضعاف النشاط التجاري هو ما إنعكس سلباً على موارد الدولة المالية فقد تراجعت حركة التبادل التجاري سواء الداخلي أو الخارجي نتيجة إنعدام الأمن وإظطراب الطرق إضافة إلى القيود التي فرضت على الموانئ والأسواق وبذلك فقدت غرناطة أحد أهم مصادر دخلها، مما زاد من إعتمادها على الجباية الداخلية لتعويض هذا النقص وهنا برزت مشكلة المغارم بشكل اوضح إذ لجأت السلطة إلى فرض ضرائب باهضة ومتكررة على السكان الأمر الذي أدى إلى إنهاكهم إقتصادياً ولم تكن هذه السياسة الجبائية القاسية دون تبعات إجتماعية خطيرة إذ أدت إلى لى إنتشار التذمر والإستياء بين مختلف فئات المجتمع من فلاحين وتجار وحتى بعض فئات النخبة فالضرائب المرتفعة أضعفت القدرة الإنتاجية خاصة في القطاع الزراعي حيث لم يعد الفلاح قادراً على تحمل تكاليف الزراعة في ظل مايفرض عليه من أعباء كما أثرت سلباً على النشاط التجاري إذ تراجع الإستثمار وقلت المبادلات وهو ماساهم في تعميق الركود الإقتصادي وفي ظل هذه الظروف بدأت تظهر بوادر التفكك الإجتماعي وتراجع الشعور بالإنتماء والولاء للمملكة وهو عامل بالغ الخطورة في أوقات الأزمات ومن جهة أخرى فإن تضخم النفقات لم يكن مرتبطاً فقط بالحرب بل شمل أيضاً جوانب أخرى من تسيير المملكة مثل نفقات البلاط[1] والصراعات الداخلية فقد عرفت مملكة بني نصر اضطرابات سياسية متكررة وصراعات على الحكم

[1] مؤلف مجهول ،**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، المرجع السابق**،ص 25

بين افراد الاسرة الحاكمة وهو ما استنزف موارد اضافية سواء من خلال تمويل تحالفات او شراء الولاءات وبذلك فإن جزءًا من الأزمة المالية كان ناتجا عن سوء تسيير وليس فقط عن عوامل خارجية وقد أدت هذه الوضعية إلى دخول المملكة في حلقة مفرغة فكلما ازدادت النفقات اضطرت السلطة إلى رفع الضرائب وكلما إرتفعت الضرائب تدهور الإقتصاد وضعفت الموارد مما يؤدي الى المزيد من العجز ومع مرور الوقت أصبحت المملكة عاجزة عن تحقيق التوازن بين مواردها ونفقاتها وهو ما انعكس على قدرتها في مواجهة التحديات الخارجية فالأزمة المالية هنا لم تكن مجرد عامل مساعد بل تحولت إلى عنصر حاسم في إضعاف القدرة الدفاعية للمملكة وفي هذا السياق يمكن القول إنما أشار إليه صاحب نبذة العصر يعكس واقعا أعمق من مجرد إرتفاع في الضرائب أو النفقات بل يدل على إختلال شامل في البنية الإقتصادية للمملكة النصرية فقد فقدت هذه الأخيرة قدرتها على تعبئة الموارد بشكل فعال و أصبحت تعتمد على حلول آنية لا تعالج جذور الأزمة وهو ماجعلها أكثر هشاشة أمام الضغط العسكري المتزايد خاصة في المراحل الأخيرة من حرب الإسترداد، وعليه فإن الأزمة المالية تمثل أحد المفاتيح الأساسية لفهم سقوط غرناطة إذ لا يمكن تفسير هذا الحدث بمعزل عن العوامل الإقتصادية التي أضعفت الدولة من الداخل فضعف الموارد و إرتفاع النفقات وتدهور الأوضاع الإجتماعية كلها عناصر تفاعلت فيما بينها لضرب أسس المملكة وجعلتها غير قادرة على الصمود .[1]

وفي السياق نفسه، استفاد السلطان الغرناطي من الخلافات التي نشبت بين قادة النصارى فانتهز فرصة تفرقهم، إذ استقل بعضهم بقرطبة، واستولى آخرون على إشبيلية، بينما انفرد فريق ثالث بشريش ومع ذلك فإن السلطان أبو الحسن لم يستثمر هذه الظروف لصالح مملكته بل استرسل في الملذات وآثر الراحة والدعة وأهمل شؤون الجند وأسند تدبير أمور الدولة إلى بعض وزرائه كما احتجب عن الناس وأعرض عن الجهاد وزاد الوضع سوءًا بسبب كثرة المغارم والمظالم وإقدامه على قتل كبار القواد الأمر الذي أسهم في إضعاف الدولة وزعزعة استقرارها ومن ثمّ يتضح أن ما أصاب المسلمين من ضعف وانحطاط كان في جانب كبير منه نتيجة لتقصيرهم وتخاذلهم وابتعادهم عن المستوى الرفيع

[1] مؤلف مجهول ،**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، المرجع السابق،ص25

الذي دعا إليه الإسلام، حتى أصبح أثر هذا التقصير الداخلي عليهم أشد مما ألحقه بهم عدوهم الخارجي[1]

الأزمة الإقتصادية وتدهور الأوضاع المعيشية:

شهدت مملكة غرناطة في أواخر عهدها تدهوراً إقتصادياً و معيشياً خطيراً إنعكس بصورة مباشرة على حياة السكان وقد عبر صاحب كتاب نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر بقوله: "**اشتد الحال على الناس بالجوع وقلة الطعام وادرك الجوع كثيراً من الناس** "وهي عبارة تكشف حجم الأزمة التي عاشها المجتمع الأندلسي خلال سنوات السقوط الأخيرة فقد أدى الحصار المستمر الذي فرضته القوات القشتالية على المدن والقرى إلى تعطل النشاط الزراعي والتجاري وهو ماتسبب في نقص حاد في المواد الغذائية الأساسية وإرتفاع كبير في الأسعار كما أصبحت طرق التموين غير آمنة بسبب كثرة الغارات والحروب الأمر الذي صعب وصول المؤن إلى السكان داخل المدن المحاصرة وقد اعتمد إقتصاد مملكة بني نصر بشكل أساسي على الزراعة و التجارة لكن إستمرار العمليات العسكرية أضر باالأراضي الزراعية وأدى إلى إتلاف المحاصيل وهجرة عدد كبير من الفلاحين خوفاً من القتال ونتيجة لذلك تراجع الإنتاج الزراعي بشكل ملحوظ خاصة في خاصة في الحبوب التي كانت تمثل الغذاء الرئيسي للسكان كما أن فقدان السيطرة على العديد من الحصون والمناطق الزراعية المهمة حرم المملكة من موارد إقتصادية كانت تساهم في تموين المدن و الأسواق إضافة إلى ذلك ساهمت الضرائب الباهضة والمغارم التي فرضتها السلطة لتغطية نفقات الحرب في زيادة معاناة الأهالي إذ اصبح السكان مطالبين بتحمل أعباء مالية ثقيلة في وقت كانوا يعانون فيه أصلاً من الفقر والجوع وقد أدى هذا الوضع إلى إنتشار المجاعة في بعض المناطق وإضطر الناس إلى تقليل إستهلاكهم اليومي من الطعام بينما عجزت فئات واسعة من المجتمع عن توفير إحتياجاتها الاساسية ولم تقتصر أثار الأزمة على الجانب الإقتصادي فقط بل إمتدت إلى الجانب الإجتماعي حيث إنتشرت حالات التذمر و اليأس بين السكان وضعفت الروح المعنوية نتيجة إستمرار الحصار وطول الحرب كما أثرت هذه الظروف على القدرة العسكرية للمملكة لأن نقص الأقوات لم يصب المدنين[2] وحدهم بل شمل الجنود ايضاً مما

[1] المقري ، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، المرجع السابق،ج 4،ص511

[2] مؤلف مجهول ،**نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، المرجع السابق، ص 40

أضعف قدرتهم على الصمود والدفاع فالجيش الذي يعاني أفراده من الجوع وقلة المؤن لايستطيع الإستمرار في القتال بكفاءة وهو ماساهم في تراجع المقاومة الإسلامية امام التقدم القشتالي ومن ثم فإن ضيق المعايش وقلة الأقوات كان من أبرز مظاهر الأزمة الداخلية التي عجلت بسقوط غرناطة إذ اضعفت هذه الظروف البنية الإقتصادية والإجتماعية للملكة وجعلتها عاجزة عن مواجهة الضغوط العسكرية والسياسية المتزايدة

غياب الدعم الإسلامي الخارجي:

يعد غياب الدعم الإسلامي الخارجي من أبرز العوامل التي ساهمت في إضعاف مملكة غرناطة في أواخر عهدها إذ وجدت نفسها تواجه التوسع القشتالي منفردة دون سند سياسي أو عسكري فعال من العالم الإسلامي رغم ماكانت تبديه من إستغاثات متكررة إلى حكام المغرب الأسلامي وقد عبر صاحب كتاب نبذة العصر عن هذه الحالة بوضوح حيث يقول: "**إن إخواننا المسلمون من أهل عدوة المغرب بعثنا إليه فلم يأتنا أحد منهم ولا عرج على نصرتنا و إغاثتنا**"وهي عبارة تكشف حجم العزلة التي عاشتها غرناطة في سنواتها الأخيرة وتعكس شعور أهلها بالخذلان وفقدان الأمل في وصول النجدة الإسلامية .

لقد كانت مملكة غرناطة تعتمد منذ تأسيسها على علاقاتها ببلاد المغرب الإسلامي سواء من الناحية السياسية أو العسكرية أو الإقتصادية بحكم القرب الجغرافي ووحدة الدين والمصير فطالما شكل المغرب عمقاً إستراتجياً للأندلس وكانت دوله تتدخل في فترات مختلفة لصد الهجمات المسيحية كما حدث في عهدي المرابطين و الموحدين غير أن الأوضاع تغيرت كثيراً في القرن الخامس عشر الميلادي إذ دخلت دول المغرب في صراعات داخلية و إنقسامات سياسية أضعفت قدرتها على التدخل في الشأن الأندلسي فأصبحت غرناطة تواجه مصيرها وحدها أمام قوة إسبانية صاعدة إستطاعت توحيد قشتالة وأراغون تحت حكم الملكين الكاثولكيين[1].

ويظهر من خلال النص أن أهل غرناطة لم يقفوا موقف المتفرج بل حاولوا طلب العون وإرسال الوفود والرسائل إلى المسلمين في المغرب أملاً في الحصول على الدعم العسكري أو المالي لكن تلك النداءات

[1] مؤلف مجهول ، **نبذة العصر في اخبار ملوك بني نصر**،المرجع السابق ،ص40

لم تلق الإستجابة المطلوبة ، ويفهم من قول المؤلف أن الإتصالات كانت قائمة فعلاً غير أن الظروف السياسية والعسكرية التي كانت تمر بها بلاد المغرب جعلت الاستجابة ضعيفة أو منعدمة فقد كانت إمارة بنو مرين في المغرب الأقصى تعاني إضطرابات داخلية ومنافسات على السلطة كما كانت تواجه أخطاراً خارجية متزايدة وإنشغلوا بالفتن الداخلية لتتجه نحو الحروب الأهلية بعدما إنقسمت بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاث إمارات[1]، الأمر الذي جعل إهتمامتها بالشأن الأندلسي محدوداً أما الإمارة الحفصية في المغرب الأدنى فكانت هي الأخرى تعاني التراجع و الإنقسام ولم تعد تمتلك القدرة التي كانت لدول المغرب القوية في العصور السابقة كما أن هذا الغياب لم يكن مقتصراً على الجانب العسكري فقط بل شمل كذلك الجانب السياسي و الدبلوماسي إذ لم تنجح الدول الإسلامية في تشكيل جبهة موحدة للدفاع عن عن اخر معاقل الإسلام في الأندلس ، وفي المقابل كان الإسبان يعملون وفق سياسة منظمة تقوم على التوحيد السياسي والتنسيق العسكري والحصار الإقتصادي المستمر وهو مازاد عن عزلة غرناطة وأضعف قدرتها على المقاومة لذلك أصبح سقوط المدن و الحصون الغرناطية يتم تدريجياً دون أن تجد المملكة دعماً حقيقياً يغير موازين القوى.

ومن الناحية النفسية ترك غياب النصرة الإسلامية أثراً بالغاً في نفوس أهل غرناطة إذ شعروا بأنهم تركوا وحدهم في مواجهة مصيرهم خاصة و أنهم كانوا ينظرون إلى أنفسهم بإعتبارهم المدافعين عن اخر وجود إسلامي في شبه الجزيرة الأيبيرية و يتضح هذا الشعور من نبرة الأسى التي حملتها عبارة "ولا عرج على نصرتنا و إغاثتنا " فهي لا تعبر فقط عن غياب الدعم بل عن خيبة أمل عميقة وإحساس بالخذلان من العالم الإسلامي .وقد أثّر ذلك سلباً على الروح المعنوية للسكان والجنود، في وقت كانت فيه المملكة بأمس الحاجة إلى رفع معنوياتهت و تعزيز صمودها ومن جهة أخري فان ضعف[2] التواصل البحري والعسكري بين المغرب والاندلس ساهما بدوره في تعميق الازمة اذ كانت السيطرة الاسبانية المتزايدة على السواحل والموانئ تجعل عملية ارسال المساعدات أمرا بالغ الصعوبة كما أن التفوق العسكري القشتالي خاصة في مجال االحصار واستعمال المدفعية جعل أي محاولة الدعم محدودة غير قادرة على تغيير مجرى الاحداث ولذالك بقية الاستغاثات الغرناطية دون اثرر فعلي بينما كانت المدن

[1] عبد الرحمن إبن خلدون، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، المصدر السابق، ج13،ص450

[2] مؤلف مجهول ، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**،المرجع السابق،ص40

الاندلسية تسقط واحدة تلوى الاخرى ويلاحظ كذالك أن غياب الدعم الاسلامي الخارجي ترافق مع أزمات داخلية عاشتها غرناطة نفسها من الصراعات السياسية بين أمراء بني نصر واضطربات اقتصادية وضعف في التنظيم العسكري مما جعل المملكة أكثر هشاشة أمام العدو فلو وجد دعم اسلامي قوي ومنظم ربما كان بامكان غرناطة اطالة أمد المقاومة أو تحسين شروطها السياسية لكن الواقع تاريخي اظهر انها كانت معزولة تماما ،الامر الذي سهل على الاسبان فرض الحصار النهائي عليها ثم اجبارها على التسليم سنة 1492 م وعلية يمكن القول ان غياب الدعم الاسلامي شكل عاملاً حاسماً في سقوط غرناطة لأن المملكة فقدت بذلك العمق الإستراتيجي الذي طالما إعتمدت عليه في مواجهة الممالك المسيحية وقد عبر المؤلف من خلال عبارته السابقة عن مأساة سياسية وحضارية عاشها مسلمو الأندلس في أواخر أيامهم حين أصبحت الإستغاثات ترسل دون ان تجد مجيباً في وقت كانت فيه غرناطة تخوض معركتها الأخيرة دفاعاً عن وجودها وهويتها الإسلامية[1] .

[1] مؤلف مجهول ، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**،الرجع السابق ،ص40

الفصل الثاني: سقوط الأندلس من خلال المصادر الإسبانية التاريخية (القرنان الخامس عشر إلى السابع عشر)

لويس ديل مارمول كاربخال –luis del Marmol carbajal:

مؤرخ ورحالة عسكري ولد عام 1524م وتوفي عام 1600م، كان الإبن الأول لبيدرو ديل مارمول كاتب في الديوان الملكي.شارك في الحملة التي نظمها الإمبراطور شارل الخامس لغزو تونس عام 1535 م وهو في الحادية عشرة من عمره بعد ذلك جال في الحاميات الإسبانية في الشمال الإفريقي وقع أسيرا لدى المسلمين و إحتك بالمجتمعات المغاربية خاصة عند السعديين فكان يرافق السلطان في رحلاته إلى جنوب الصحراء الكبرى، وكذلك في غزوات عدة مدرك للعربية والبربرية ،تعرف على أعمال حسن الوزان المولودفي غرناطة والمعروف بإسم خوان ليون أفريكانو والتي أثرت عليه كثيراً.

عموماً عاش لويس ديل مارمول في حقبة إزداد فيها التنافس التقليدي بين الشرق والغرب بظهور إمبراطوريتين جديدتين متنافستين في الحوض المتوسطي ألا وهماالإسبان و الأتراك .

كان متأملاً لجل المجتمعات و الدول التي زارها ومنها إسبانيا،البرتغال،إيطاليا،المغرب،الجزائر،تونس،ليبيا موريتانيا،الصحراء ومصر كما إمتهن العديد من الوظائف فقد كان جندياً،جاسوساً وأسيراً، محامياً وجابياً للضرائب لكنه مال لكتابة التاريخ وهذا سر نجاح أعماله إذ إتصفت بالتفتح على العالم الإسلامي وهو الأمر المرفوض أنذاك، فلقد تم التعامل مع الإسلام و المسلمين كعدو بالدرجة الأولى كان لويس من المعجبين بالثقافة العربية ،وحسبه فقد ضاهت الثقافات اليونانية واللاتنية .ومن أهم أعماله:

Historia de la rebelion y castigo de los moriscos del reino de Granada[1]

وهو كتاب مهم يتحدث عن مقاومة و معاناة موريسكيوا غرناطة والذي نشر في مالقة عام 1600م.

يمثل سقوط مملكة غرناطة سنة1492م نهاية الوجود السياسي الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية وهو الحدث الذي مهد لتحولات عميقة في البنية الدينية والإجتماعية لسكان الأندلس ويعد المؤرخ الإسباني لويس ديل مارمول كاربخال من أبرز من تناولوا هذه المرحلة في كتابه الصادر مطلع القرن

[1] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 573

السابع عشر حيث قدم تفسيراً لسقوط غرناطة بوضعه نتيجة الضعف داخلي بقدر ماهو حصيلة تفوق عسكري مسيحي حيث يقول :

" Andando pues estos Católicos Reyes en la conquista que tanto placía a Dios y a su bendita Madre, los moros guerreaban entre sí cruelmente. El Zogoybi, estando recogido en Vélez el Blanco, y siendo favorecido de los cristianos de la frontera, guerreaba por aquella parte con el Zagal,"[1]

"وبينما كان هؤلاء الملوك الكاثوليك يواصلون غزواتهم التي أرضت الله وأمه مريم العذراء كان المور يخوضون حرباً فيما بينهم وكان زوغيبي المتحصن في فيليز إل بلانكو والمدعوم من مسيحي الحدود يشن حرباً في تلك المنطقة ضد الزغال[2] "

يرى صاحب الكتاب أن النزاعات بين أفراد البيت النصري خصوصاً بين أبي الحسن علي وإبنه أبي عبد الله محمد الثاني عشر ثم عمه الزغل أسهمت في إنهاك المملكة الغرناطية وإضعاف قدرتها على مواجهة الضغط العسكري المتصاعد من قبل التاج القشتالي وقد تزامن هذا الضعف الداخلي مع إكتمال مشروع الوحدة السياسية المسيحية تحت حكم الملكين الكاثوليكيين إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وفرناندو الثاني ملك أراغون مما وفر للمعسكر المسيحي إستقرار سياسياً وموارد عسكرية مكنته من حسم الصراع حيث يقول:

" Mientras el rey don Hernando hacía estas entradas con su ejército, la Católica Reina doña Isabel era su

[1] Luis del Marmol carvajal,Historia del rebelion y castigo de los moriscos del reino de Granada,Segunada impresion,libro 1,Granada,p54.

[2] **الزغل:**الملقب بالشجاع، دخل في صراع مع إبن أخيه الصغير، انتهى بتقسيم غرناطة بينه وبين الصغير فتحصل على مالقة، وقع معاهدة صلح مع الإسبان مقابل امتيازات له ولأسرته ثم سافر إلى المغرب، ينظر: محمد عبد الله عنان نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة،1417هـ/1997م،ص202

proveedora, y andaba de una parte a otra proveyendo y enviando todo lo necesario al real; y con esto había siempre en él muchos bastimentos, armas, municiones y "gente.

"بينما كان الملك فرديناند يشن الغارات بجيشه كانت الملكة إيزابيلا تمده بالمؤن، تنتقل من مكان إلى أخر لتوفير كل مايلزم للمعسكر وإرساله إليه وهكذا كان المعسكر دائماً مكتظاً بالمؤن والأسلحة والذخيرة والرجال" [1]

يشير مارمول كاربخال إلى أن حصار غرناطة لم يكن مجرد عملية عسكرية بل كان إستراتجية شاملة إستهدفت خنق المدينة إقتصادياً وعزلها عن أي دعم خارجي محتمل ويعكس هذا الطرح رؤية مؤرخ عاش في سياق صراع متواصل بين إسبانيا والقوى الإسلامية في البحر المتوسط مايجعل تفسيره متأثراً بالوعي السياسي السائد في عصره أما معاهدة تسليم غرناطة في يناير 1492م فقد تضمنت ضمانات واضحة لسكان مدينة المسلمين :منها حرية ممارسة الشعائر الدينية والحفاظ على الممتلكات والقضاء الشرعي غير أن مارمول يقر بأن هذه الضمانات لم تحترم على المدى الطويل إذ بدأ التحول التدريجي نحو السياسة الإدماج القسري خصوصا بعد تدخل الكاردينال فرانسيسكو خمينيث دي سيسنيروس الذي شجع على التنصير حيث يقول :

" que juntamente con el arzobispo de Granada prosiguiese en la conversión de los moros, procediendo mansamente y de manera que no se alborotasen."

"أوكلوا إليه مع رئيس أساقفة غرناطة مهمة مواصلة تنصير المسلمين بالتدبر والتريث حتى لايثيرو أي إضطرابات" [2]

[1] Luis del Marmol carvajal,Historia del rebelion y castigo de los moriscos del reino de Granada,Op cit ,p55

[2] Ibid, p104

وقد أدى هذا التحول إلى إندلاع إظطرابات مبكرة في أحياء غرناطة ثم في جبال البشرات حيث لجأ كثير من المسلمين الرافضين للضغوط الدينية حيث يقول:

" los moros se pusieron en arma y comenzaron a llamar a Mahoma, apellidando libertad y diciendo que se les quebrantaban los capítulos de las paces"

"حمل الموريسكيون السلاح وبدأو ينادون بإسم محمد معلنين الحرية ومؤكدين أن بنود السلام قد نقضت"[1]

ويبرز مارمول أن فرض قيود على اللغة العربية واللباس والعادات شكل مساساً مباشراً بالهوية الجماعية للمسلمين الذين أصبحوا يعرفون لاحقاً بإسم "الموريسكيين"ويعد هذا التحول في تحليله الأساس البنيوي لثورة البشرات الكبرى (1568_1571) التي إعتبرها نتيجة تراكمات سياسية ودينية و إجتماعية بدأت فعلياً منذ سقوط غرناطة ،من خلال هذا العرض يتضح أن سقوط الأندلس في رواية مارمول كاربخال لايقدم كحدث منفصل بل كبداية مسار طويل من التحولات إنتهى بصدام دموي بين السلطة الإسبانية و الموريسكيين ثم بقرار الطرد النهائي سنة 1609م ومن ثمة فإن دراسة سقوط غرناطة في هذا السياق تمثل مدخلاً ضرورياً لفهم الثورة الموريسكية بإعتبارها إمتداداً تاريخياً لأزمة الإندماج القسري بعد 1492م

ألفونصو فيرناندیز دي باليثيا_Alfonso fernandez de palencia:

ولد عام 1423م توفي عام1492م بإشبيلية تتلمذ على يد الأسقف بابلو دي سانتا ماريا،يعتبر أحد أبرز الشخصيات المثقفة، كان لغوي مهتم بالمعاجم، صاحب تكوين ديني، مؤرخ، دبلوماسي، كاتب وشاعر،[2]من مؤلفاته:

[1] Luis del Marmol carvajal,Op,Cit,p 116.

[2] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 571

Anales de la Guerra de Granada

يتطرق هذا الكتاب إلى الصراع مع المسلمين ويروي الأحداث المتربطة بحرب غرناطة منذ بدايتها حتى الإستيلاء على بازا في عام 1489م، وقد تميز هذا المصدر بقربه الزمني من الأحداث إضافة إلى إعتماده على روايات البلاط القشتالي مما جعله يقدم صورة واضحة عن الظروف العسكرية والسياسية التي أدت إلى نهاية الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية وقد إعتبر المؤلف أن سقوط غرناطة لم يكن نتيجة معركة واحدة فاصلة بل جاء نتيجة سلسلة طويلة من العمليات العسكرية المنظمة التي قادها الملكان الكاثوليكيان إيزابيلا وفرديناند ضمن مشروع سياسي وديني هدف إلى إستكمال إسترداد الأراضي الأندلسية.

يرى الفونصو دي بالينثيا أن الأساس القانوني للحرب يقوم على مبدأ الإسترداد حيث إستندت إيزابيلا الأولى ملكة قشتالة وفرناندو الثاني ملك أراغون في إعلانهما الحرب على مملكة غرناطة إلى مبدأ راسخ في القانون والعرف الياسي لعصرهما يعرف ب الإسترداد ، ومفاده أن الأراضي التي ضمها المسلمون منذ الفتح الإسلامي عام 711م هي بالأصل ملك للسلالة القوطية ، وأن ملوك قشتالة وأراغون هم الورثة الشرعيون لتلك السلالة ومن ثم فإن استعادة تلك الأراضي ليست عدوانا بل حق مشروع.

يؤكد هذه الفكرة صاحب الكتاب إذ يضع الحرب في سياقها التاريخي الطويل مشيراً إلى أن ملوك الكاثوليك لم يكونوا يرون أنفسهم غزاة بل مستردين لميراثهم المسيحي، وقد أسهم البابا في تعزيز هذه الشرعية بمنحهم لقب"ملوك الكاثوليك" تقديرًا لهذه المهمة المقدسة بحيث يقول:

"la empresa de la recuperacion de los reinos que antano pertenecion a la corona de los reyes godos ،Legitimos predecesres de los soberanos de castilla y aragon [1]"

[1] Alfonso de palencia, Anales de la Guerra de Granada,ed.digital,biblioteca virtual miguel de cervantes,1999,basada en la edicion de madrid,1909,libro1,p5.

"مشروع استرداد الممالك التي كانت تنتمي في السابق إلى تاج ملوك القوط، الأسلاف الشرعيين لملوك قشتالة و أراغون"

يتضح من هذا المقطع كيف يقدم صاحب الكتاب الحرب في إطار شرعي تاريخي ، إذ الإسترداد في منظوره حق اصيل لا مطعن فيه ، مما يجعل الحرب على غرناطة إلتزاماً دينياً وسياسياً في ان معاً .

هجوم المسلمين على مدينة الزهراء سنة 1481 م –السبب المباشر:

غير أن اللإيطار القانوني المذكور ظل بمثابة مبرر بنيوي كامن لم يتحول إلى حرب فعلية إلا حين وفر هجوم المسلمين على مدينة الزهراء[1] (zahara de la sierra)في ديسمبر 1481م الذريعة الأنية اللازمة، فقد أغار قوات ابي الحسن علي أمير غرناطة ، على هذه المدينة الحدودية القشتالية وإستولوا عليها وأسروا عددًا كبيراً من سكانها، وقد أولى صاحب الكتاب هذه الحادثة عناية خاصة في كتابه واصفا إياها بالتفصيل الدقيق ومنوها بابعادها المتعددة العسكرية والسياسية حيث يقول :

" El ataque de los moros contra zahara fue el rayo que encendio la polvora de una guerra que los reyes esperaban la ocasion de cumplir su sagrado deber ante dios y ante la cristiandad"

"كان هجوم المسلمين على الزهراء بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل حرب كان الملوك ينتظرونها بفارغ الصبر، اذ منحتهم الفرصة للاضطلاع بواجبهم المقدس أمام الله و العالم المسيحي"[2]

تكشف هذه العبارة ان صاحب الكتاب يدرك تماما البعد الاستراتيجي للحادثة لان ملوك الكاثوليك لم يفاجأو بها بل كانوا يترقبون حدثاً مشابهاً، وبذلك يتحول هجوم الزهراء من مجرد عملية عسكرية إلى لحظة تأسيسية أعادت صياغة المشهد السياسي برمته.

[1] **الزهراء**:بلدة حصينة في مقاطعة قادس بجبال الأندلس جنوب إسبانيا كانت موقعاً إسلامياً يطل على الوادي بين رندة وإشبيلية ظلت تحت الحكم العربي حتى 1407م،واستردها المسلمون من قشتالة سنة 1481م مما اشعل فتيل حرب غرناطة.أنظر:محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،ج7،مكتبة الخانجي، القاهرة،1997 ، ص111

[2] Alfonso de palencia, OpCit,p2.

ديلبولغار فيرناند – Hernando del Pulgar:

طليطلي ولد عام1436م ابن كاتب، تلقى تعليمه في بلاط يوحنا الثاني في عهد إيزابيلا أصبح مستشاراً للدولة، كلف بمهام دبلوماسية إلى فرنسا، وفي عام 1482م تم تعيينه مؤرخاً ملكياً خلفا لسابقه ألفونصو دي باليثيا، توفي عام 1492م من أهم مؤلفاته: la Cronica de los reyes Catolicos، وقائع ملوك الكاثوليك.

يحاول التأريخ جزئياً لأهم إنجازات الملكة ولكنه يخلط الحقائق أيضاً كما يقدم من خلاله صفات وواجبات الملك الصالح، ويبدو من خلال هذه الكتابات هدف ملوك الكاثوليك واضحاً والمتمثل في إنشاء سرد تاريخي لأعمالهم والتي كان يجب كتابتها من أجل الوصول إلى جميع شرائح المجتمع الممكنة وهذا للحفاظ على سمعتهم، تقع هذه المخطوطة في يد المؤرخ أنطونيو دي نيبريخا الذي كان يهتم بالترجمة والتنقيح. سجل الملوك الكاثوليك هذا تمت معاينته من قبل سكرتير فرناندو الثاني.لورنزو جالينديز دي كارفاخال. الذي كان مسؤولاً عن التصحيح والتعديل لما يعرف بأخطاء المؤرخين، هذا مايفتح إشكالية الموضوعية في هذه الكتابات.[1]

شكل الحصار المزدوج الذي فرضه الملك فرناندو والملكة إيزابيلا على مملكة غرناطة أحد أكثر الأسلحة فتكا في حربهما لإسترداد الأندلس، فلم يكتف الملكان بتطويق المدن براً بل أدركا أن المفتاح الحقيقي للنصر يكمن في عزل المسلمين عن عمقهم الإستراتيجي في شمال افريقيا وقطع كل صلة بينهم وبين العالم الخارجي

أولى الملكان أهمية قصوى للسيطرة على مضيق جبل طارق، ذلك الممر المائي الضيق الذي كان يمثل شريان الحياة للمسلمين في الأندلس فعبره كانت تتدفق الإمدادات الغذائية من القمح والزيت والتمر، وتتسلل الأسلحة والذخائر ويعبر المقاتلون والمتطوعون من قبائل المغرب والبربر فضلاً عن الأموال اللازمة لإستمرار المقاومة حيث يقول صاحب الكتاب:

[1] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 572

"les tos Moros estaban en grandes 'trabajos, é mengua de pan é de las otras cosas de que solían ser proveídos , ansí por mar como por tierra : porque el Rey é la Reyna teman grand armada é mandaban guardar el esnecho de Gibraltar , para que no pasasen Moros de Africa a estas parces ni los destas fuesen allende. É los capitanes de la armada romdron muchos navios[1]"

"عانى المور(المسلمين) من ظائقة شديدة ونقص حاد في الخبز وغيره من الموارد التي إعتادو الحصول عليها براً وبحراً فقد كان لدى الملك والملكة أسطول ضخم وأمر بحراسة مضيق جبل طارق لمنع المور القادمين من إفريقيا من عبور هذه المناطق وإستولى قادة الأسطول على العديد من السفن".

جند أسطول بحري ضخم وأنيطت به مهمة مراقبة المضيق ليلاً ونهاراً وقد نجح قادة هذا الأسطول في إعتراض عشرات السفن القادمة من السواحل الإفريقية والاستيلاء عليها بما تحمله من بضائع وبشر مما أوجد حالة من الرعب لدى كل من تسول له نفسه محاولة كسر الحصار أو إيصال إمدادات لأهل غرناطة، أفضى هذا الخناق المحكم إلى كارثة إنسانية داخل المدينة إذ إنتشرت المجاعة في الأحياء الفقيرة وبين صفوف المقاتلين وتراجعت القدرة العسكرية تراجعاً ملحوظاً وإنهارت الروح المعنوية وتصاعدت الخلافات الداخلية بين زعماء المسلمين حول أفضل السبل للتعامل مع الحصار.

[1] Hernando del pulgar, cronica de los senores reyes catolicos, Madrid:Agencia Estatal boletin oficial del Estado,2024,p194.

خيرونيمو زوريتا إي كاسترو - Jerónimo Zurita y Castro

سرقسطي مؤرخ وكاتب، ولد عام 1512م وتوفي عام 1580م. كتب الذاكرة التاريخية لمملكة أراغون، ونظرا لتكوينه وإمكانيته في التأليف عين كأول مؤرخ لمملكة أراغون عام 1548م، كان له شأن في تأطير محاكم التفتيش، فلقد شغل منصب سكرتير المكتب المقدس لمحاكم لها. وظيفته في محاكم التفتيش جعلته يقوم بعدة رحلات دولية خاصة إيطاليا، هذا مامكنه من جمع الكثير من المادة التاريخية التي ساعدته في تأليف أعماله التاريخية، ويعتبر حوليات تاج أراغون من أهم الأعمال التاريخية للفترة، كما أن عملية الكتابة إمتدت لثلاثين عاماً، وكان المصدر في عدة مجلدات، اخر مجلد منه نشر في نفس العام الذي توفي فيه. إتبع الكاتب مخططاً زمنياً إمتد منذ الفتح الإسلامي إلى عهد فرديناند الثاني.[1]

لم يكن سقوط مملكة غرناطة نتيجة التفوق العسكري المسيحي فحسب بل تأثر كذلك بالمتغيرات السياسية التي شهدها العالم الإسلامي الغربي في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، فقد حالت الخلافات و المصالح المتباينة بين القوى الإسلامية دون تشكيل جبهة موحدة لمواجهة التوسع المسيحي ومن أبرز مظاهر ذلك التقارب الذي نشأ بين السلطان المغربي أبي العباس أحمد الوطاسي وملوك الكاثوليك حيث فضل تحقيق مصالح سياسية مرتبطة بأوضاع المغرب على تقديم الدعم الفعال لغرناطة وقد أسهم هذا الواقع في زيادة عزلة المملكة النصرية وإضعاف قدرتها على الصمود أمام الحملات العسكرية المسيحية المتواصلة بحيث يقول المؤلف:

"**Nres defto auia el Rey hecho fus aliaças contra el Rey de Granada con AborraueR ey deMa rruecos, era nieto de Abenjacob,y Aliançasfucedio en aquel reyno al Rey Boceentre eleguet fu hermano: y ofrecio Aborraue, y elde Ma que pagaria por cada galera, de las rruecos,**

[1] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 572

cǎque el Rey embialle en fu focorro trael de contra Cepta,dos mil doblas porqua Granada.tro mefes:y que daria fueldo a mil caualleros, enere tanto que duraua la emprefla de Cepta:y juro, que no haria paz,ni tregua con el Rey de Granada fin voluntad del Rey de Aragon".

"وقبل ذلك كان الملك قد عقد تحالفات ضد ملك غرناطة مع أبي العباس ملك المغرب الذي كان حفيد أبي يعقوب وقد خلف في حكم تلك المملكة أخاه وعرض ابي العباس ان يدفع عن كل سفينة حربية يرسلها الملك لمساعدته في مواجهة سبتة ألفي دوبلة لمدة أربعة أشهر وأن يتكفل برواتب ألف فارس طوال مدة الحملة على سبتة، كما أقسم أن لايعقد صلحاً أو هدنة مع ملك غرناطة دون موافقة ملك أراغون[1]"

إن أهم مايكشفه هذا النص هو الحقيقة المؤلمة للصراعات والتنافسات بين القوى الإسلامية في هذه المرحلة بدلاً من أن يقف مللك المغرب إلى جانب سلطان غرناطة في مواجهة العدو المشترك إختار التحالف مع الإسبان ضد غرناطة، هذا الإختيار الإستراتيجي يكشف عن حقيقة إجتماعية وإقتصادية عميقة :أن المصالح الضيقة والمكاسب الأنية طغت على الشعور بالتضامن الديني والحضاري. كما يوثق النص ألية مهمة من أليات الضعف التدريجي للدول الإسلامية : الإستنزاف الإقتصادي والعسكري المتتالي. إن دفع ملك المغرب "ألفي دوبلة ذهبية" لكل سفينة يعني تحويل الموارد المالية الإسلامية لخدمة المشاريع الإسبانية، هذا الإستنزاف أضعف القدرات الدفاعية للدول الإسلامية وحرمها من الإمكانيات اللازمة للدفاع عن أراضيها. من المهم ملاحظة أن هذا الإستنزاف لم يكن إستثناء بل أصبح النمط المتكرر في العلاقات بين الدول الإسلامية والقوى الأوروبية في هذه الفترة، مما خلق دورة من الضعف والتبعية.

[1] Jeronimo zurita, Anales de la corona de Aragon, Tomo 1, Zaragoza: Lorenzo de robles, 1610, p 435.

غونزالو دي إليسكاس– Gonzalo de Illescas

مؤرخ، كاتب و دبلوماسي إسباني ولد عام 1021م، و توفي عام 1052م، تعلم في المدرسة المشهورة باسم سان أغوستين دي دوينياس، من بلنسية انتقل إلى سالامانكا ليكمل دراسته ويحصل على درجة دكتوراه من جامعتها. مؤهلاته دفعت بالأسرة الملكية لتعيينه سكرتيرا شخصيا لألونسو دي أراغون، صاحب تاج أراغون، ثم عين سفيرا في البندقية، وكثيرا ما كان يتم اختياره للقاء الشخصيات البارزة بكل من إيطاليا وفرنسا.

كبقية الكتاب والمؤرخين، واصل ارتباطه الديني، وأصبح رئيس دير سان فرونتس إهتم بترجمة العديد من الأعمال من اللاتينية، كما كتب في عدة أجزاء التاريخ البابوي والكاثوليكي، له كتاب بإسم Historia pontifical y catholica: وأهميته تكمن في سرده لحياة جميع البابوات من القديس بطرس إلى بونيفاس الثامن و بشكل دقيق و مفصل، كتاب التاريخ البابوي، تم نشر الجزء الاول له عام 1565م، و تم نشر باقي الأجزاء الستة من هذا العمل المهم من طرف مؤرخين لاحقين، وامتد العمل إلى غاية 1623-1644م، واختتم من طرف خوان بانيوس دي فيلاسكو اهتم غونزالو بتاريخ ملوك قشتالة والبرتغال و علاقاتهم، و من تم يمكن إستنباط العديد من المادة التاريخية التي ترتبط بوجود المسلمين، خاصة في فترة الإنهيار، أين مالت الكفة لصالح ملوك الكاثوليك[1]

يعرض صاحب الكتاب من القرن الخامس عشر الميلادي وجهة نظر إسبانية كاثوليكية تجاه الصراع العسكري والديني مع المسلمين في الأندلس، يكشف من خلالها عن الدوافع الحقيقية وراء حروب الإسترجاع مزيجاً من الشعور بالعار الوطني والضغط الأوربي والتبرير الديني ويشرح كيفية حشد ملوك الكاثوليك لشعبهم نحو حرب شاملة للقضاء على الوجود الإسلامي في إسبانيا والتي توجت بسقوط غرناطة.يقول صاحب الكتاب:

[1] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 573

"**fe cataua, fe lei venian a meter en las tierras y alom nes en las fronteras, jamas les falcaua dinero, yen que entender. De lo qual (allende de la perdida grande d las hazien las, y vidas que siempre las tenian en amargura) le figura a los espanoles notable infamia, y afrenta. Por que las otras nacio nes nos daban siempre en celtro con los moros diziendlo, que por fer nosotros pra poco, durauan tanto los inheles en espana : y e por que no los aucn lo en ninguna prouincia de Europa, los fufiriamos to, y les dexuaumos pofeer nel cirro, la mejor y mas fertil rica tierra de Espana. Ellas y otras muchas c zones, entrau mouillas a nuestros Reyes catolicos a tomar de la guerra de propofito, y a gran no alr la mano della hafia la feneczer . y no aferauia mas de a que fe concluycffe vna tregua, que (como vimos arriba) mas por la ne cefidad que te hallaua, que por otra onta las auian concedido. Pero nueltro Senor, que ya no quifo fuffrir mas nuestras ignominias, ni permitir que nuestros[1] inemigos mas en espana, la per filia dellos infieles en cuytro de fu nombre motivo fus Catholicos reyes la ocafion, como faquebrantar esfla palabra pulucifren la guerra de todo punto**".

[1] Gonzalo de Illescas, Segunda parte de la historia pontifical y Catolica,Barcelona, Hieronymo Genoues,1596,p106.

"بعد دخول المسلمين إلى الأراضي الإسبانية والحدود لم تنقص أبدا الموارد والاموال من دعمهم وفضلاً عن الخسائر الجسيمة في الممتلكات والأرواح التي ظلت دائماً تثقل كاهل الإسبان، بدا الإسبان أن هذا يمثل خزياً وعاراً كبيراً وذلك لأن الأمم الأخرى كانت دائماً توجه إلينا السخرية واللوم من أجل المسلمين قائلة: إنه بسبب ضعفنا وعجزنا فإن هؤلاء الكفار ظلوا موجودين في إسبانيا لفترة طويلة وأنه لولا وجودهم في أي إقليم من أقاليم أوروبا، لكنا إحتملنا هذا الأمر وتركناهم يستولون على أفضل وأخصب أراضي إسبانيا، هذه الأمور وغيرها دفعت ملوك الكاثوليك لدينا إلى تولي شؤون الحرب بجدية وعزم قوي وعدم الكف عن يدهم حتى تنتهي الحرب تماما، ولم يكن يكفيهم سوى أن تنتهي فترة الهدنة، لكن ربنا الذي لم يعد يرغب في إحتمال مزيد من الذلة والعار لنا ولم يكن يسمح بأن يستمر أعداؤنا في تدنيس إسبانيا باسم دينهم الكاذب، أعطى ملوك الكاثوليك لدينا الفرصة كي ينقضوا على الحرب بكل قوة وينهوها تماماً بدون تردد أو تساهل في أي شيء"[1]

يكشف هذا النص عن الكيفية التي صور بها المؤرخ الحرب ضد مملكة غرناطة بإعتبارها ضرورة تاريخية ودينية فرضتها الظروف السياسية والعسكرية، إذ يربط الكاتب بين إستمرار الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية وبين حالة اليبيرية وبين حالة الإستنزاف التي عاشتها الممالك المسيحية، مشيراً إلى أن المسلمين ظلوا يمتلكون الموارد والثروات التي مكنتهم من مواصلة المقاومة لفترات طويلة، وهو ماجعل عملية إسترداد غرناطة اكثر تعقيداً وطولاً كما يعكس الإقتباس رؤية المؤلف التي تقوم على تبرير إستمرار الحرب من خلال تصوير المسلمين بوصفهم "الغزاة" أو "الكفار" الذين إحتلوا أرضاً يعدها المسيحيون جزءاً من الإرث القوطي، وهو خطاب ينسجم مع الفكر السياسي والديني السائد في قشتالة خلال القرن الخامس عشر،حيث إمتزجت الدوافع الدينية بالمصالح السياسية في إيطار مشروع الإسترداد ويبرز النص أيضاً أهمية العامل النفسي والسياسي في تعبئة المجتمع المسيحي، إذ يشير إلى شعور الممالك الأوروبية بالعار من إستمرار الوجود الإسلامي في إسبانيا الأمر الذي دفع ملوك الكاثوليك غلى تبني سياسة تقوم على مواصلة الحرب دون قبول حلول وسط او هدن طويلة بإعتبار ان إنهاء الوجود الإسلامي أصبح قضية تمس هيبة المملكة ووحدتها الدينية، ومن زاوية اخرى يعكس

[1] llescas, Segunda parte de la historia pontifical y Catolica, Op,Cit, p106

الإقتباس الخطاب الدعائي الذي اعتمدته المصادر القشتالية حيث يصور انتصار الملوك الكاثوليك على أنه إرادة إلاهية، فيقول المؤلف أن الله منحهم الفرصة للقضاء على المسلمين بكل قوة وهو مايضفي على الحرب طابعاً مقدساً ويمنحها شرعية دينية ومن ثم فإن المؤرخ لايكتفي بسرد الواقع بل يعمل على تفسيرها وفق رؤية لاهوتية تجعل النصر نتيجة للعناية الإلهية وليس فقط لتفوق العسكري.

ويستنتج من ذلك ان هذا النص يمثل نموذجاً واضحاً للكتابات الإسبانية في أواخر القرن الخامس عشر التي سعت إلى إضفاء الشرعية على حرب غرناطة من خلال الجمع بين المبررات الدينية والسياسية وإبراز ملوك الكاثوليك بوصفهم حماة المسيحية وواضعي النهاية النهائية للوجود الإسلامي في الأندلس وهو مايجعل هذا النص مصدراً مهما لفهم الخطاب الأديولوجي الذي رافق سقوط غرناطة أكثر من كونه وصفاً محايداً للاحداث التاريخية.[1]

llescas, Segunda parte de la historia pontifical y Catolica, Op,Cit, p106[1]

إستيبان دي غاريباي إي زمايووا :Esteban de Garibay y Zamalloa

ولد عام 1533م وتوفي في مادريد مابين عامي 1599م و1600م ، يعد اول مؤلف لتاريخ إسبانيا في القرن السادس عشر، وشغل منصب المؤرخ الملكي. امتلكت مؤلفاته التاريخية اهمية بالغة، ومن ابرز واشهر اعماله :

Los quarenta libros del compendio historial de las chronicas y Universal Historia de todos los reynos de Espana

وهو مصنف تاريخي ضخم يتكون من أربعين كتابا، يوثق فيه تاريخ جميع الممالك الإسبانية[1].

مثل الحصار الذي فرضه الملكان الكاثوليكيان على مدينة غرناطة المرحلة الاخيرة من حرب الإسترداد، إذ أدى إستمراره إلى تدهور الأوضاع الإقتصادية و الإنسانية داخل المدينة بصورة غير مسبوقة، فقد تسبب إنقطاع طرق الإمداد ونفاد المؤن في إنتشار المجاعة بين السكان مما أضعف قدرتهم على الصمود وأثر بشكل مباشر في موقف القيادة النصرية، كما أدرك السلطان أبو عبد الله الصغير وكبار رجال الدولة أن إستمرار المقاومة في ظل هذه الظروف لم يعد مجدياً، خاصة مع غياب أي دعم عسكري أو سياسي من العالم الإسلامي، لذلك إتجهت القيادة النصرية إلى إنتهاج خيار التفاوض مع الملكين الكاثوليكين سعياً إلى التوصل إلى إتفاق يضمن تسليم المدينة مقابل الحفاظ على بعض الحقوق و الإمتيازات لسكانها المسلمين، وفي هذا السياق يورد المؤرخ الإسباني الإقتباس الأتي الذي يصور بوضوح أثر الحصار والمجاعة في دفع المسلمين إلى طلب الصلح، ويبرز أن هذه الظروف كانت من أهم العوامل التي مهدت لسقوط غرناطة سنة 1492م حيث يقول:

Boluiendo a la continuacion del cerco de Granada, los moros viendofe apermiados de la hambre, porque en aquella ciudad, donde auia mas de dozientas mil

[1] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 574

perfonas, padecian grande falta de mantentmientos,[1] pidieron partidos a los Reyes en el mes de deziembre, confiderando que de ninguna parte podian tener fauor, contra tan poderofos principes con los quales ya algunos caualleros moros fe entendian de fecreto para darles la ciudad, con efto el rey Mohamad Boabdelih embio menfageros, pidiendo a los reyes le embiaffen algunas perfonas con quien trataffe de medios de paz, Mucho holgaron defto los reyes por acabar la gueera de Granada y de fu parreyendo con los menfageros don goncalo hernandez de corduba y el fecretario hernando de zafra, hizieron con todo filencio muchos viajes del Real a Granada, y de Granada al Real hafta que en treynta de deziembre fecoduyó.concdas condiciones. Que el Rey de Granada dexade el titulo de Rey, y le fucile dado honcílo y honrado entrerenimicnto[2].affignandole, donde viuieftl' . Que los Moros libremente pudielfcn viuir en fu feta y fi fe quifieften y fueften quado y adonde quifieffen y les diefen en que paffar. Que en feys de enero enrrgarin la fortaleza de la Alhambra con las demas torres y lugares fuertes de la ciudad

[1] [1] Estebn de Garibay y zamalloa, Compendio Historial de las Chronicas y Universal Historia de todos los Reynos de Espana, Tomo 2, Barcelona ;Sebastian de Cormellas,1628,p674.

[2] Ibid ,p674

"وأثناء إستمرار حصار غرناطة رأى المسلمون أنفسهم وقد إشتد عليهم الجوع، إذ كانت المدينة تضم أكثر من مائتي ألف نسمة وكان أهلها يعانون نقصاً شديداً في المؤن و المواد الغذائية، لذلك طلبوا من الملكين الكاثوليكين في شهر ديسمبر الدخول في مفاوضات بعدما أيقنوا أنهم لن يجدوا عونا أو نصرة من أي جهة في مواجهة هاذين الأميرين القويين وكان بعض فرسان المسلمين قد إتفقوا سراً على تسليم المدينة لهما، ولهذا السبب أرسل الملك محمد أبو عبد الله رسلاً إلى الملكين يلتمس منهما أن يرسلا أشخاصاً يتفاوض معهم بشأن إبرام الصلح وقد سر الملكان كثيرا بذلك، لأنهما كان يتطلعان إلى إنهاء حرب غرناطة، فأرسل مع الرسل غونثالو هرنانديث دي قرطبة، وكاتب الدولة هرناندو دي نافرا اللذين قاما في سرية تامة برحلات متكررة بين المعسكر الملكي وغرناطة ومن غرناطة إلى المعسكر حتى تم الإتفاق في الثلاثين من شهر ديسمبر ووافق على الشروط التالية: أن يتنازل ملك غرناطة عن لقب الملك وان يمنح سكناً لائقاً ومحترماً في مكان إقامته وأن يكون للمسلمين حرية العيش وفق دينهم وأن يتصرفوا كما يرغبون وأن يتم في الأيام الأولى من شهر يناير تسليم قلعة الحمراء مع الأبراج الأخرى وسائر الحصون والأماكن المنيعة في المدينة .[1]"

يكشف هذا الإقتباس أن سقوط غرناطة لم يكن نتيجة التفوق العسكري للقشتاليين وحده، بل كان أيضاً ثمرة تدهور الأوضاع الداخلية التي عاشتها مملكة بني نصر خلال المرحلة الأخيرة من وجودها فقد أدى الحصار الطويل إلى إستنزاف الموارد الإقتصادية للمدينة وتسبب في إنتشار المجاعة ونقص المؤنن الأمر الذي أضعف قدرة السكان على الصمود وجعل إستمرار المقاومة أمرًا بالغ الصعوبة.كما يبرز النص أن إنعدام الأمل في وصول الدعم الخارجي سواء من القوى الإسلامية في المغرب او من غيرها كان عاملا حاسما في تغيير موقف القيادة الغرناطية فقد أدرك المسلمون أن ميزان القوى أصبح يميل بصورة واضحة لصالح الملكين الكاثوليكيين مما دفعهم إلى تفضيل التفاوض حفاظا على ماتبقى من الأرواح و الممتلكات بدل الإستمرار في مواجهة عسكرية خاسرة.

ومن جهة اخرى يشير الإقتباس إلى وجود إنقسامات داخلية وخياناتفي صفوف بعض فرسان المسلمين اللذين إتفقوا سرا على تسليم المدينة، وهو مايعكس حالة التفكك السياسي والعسكري التي كانت تعيشها المملكة النصرية في ايامها الأخيرة. وقد أسهم هذا الإنقسام في إضعاف الجبهة

[1] Garibay y Zamalloa, Compendio Historial, Op,Cit, ,p674

الداخلية وتقويض قدرة المدينة على مواصلة الدفاع عن نفسها، ويبرز النص أيضا السياسة التي إنتهجها الملكان الكاثوليكيان إذ أبديا ترحيبا كبيرا بفتح باب المفاوضات لما يحققه ذلك من إنهاء الحرب بأقل الخسائر الممكنة كما أن تكليف الشخصيات البارزة بإدارة المفاوضات في سرية تامة يدل على الحرص على إنجاز عملية التسليم بصورة منظمة مع تجنب أي إضطرابات قد تعرقل إتمام الإتفاق وعليه فإن هذا الإقتباس يوضح أن سقوط غرناطة كان نتيجة تفاعل عدة عوامل متداخلة، تمثلت في الحصار الإقتصادي والمجاعة وغياب الدعم الخارجي والإنقسامات الداخلية إلى جانب التفوق الساسي والعسكري للملكين الكاثوليكيين وهي عوامل اجتمعت لتقود إلى توقيع اتفاق الإستسلام الذي انهى الوجود الإسلامي في الأندلس.

ويقول أيضاً :

Lunes 2 de enero principio del ano del 1492, y llegados cerca de la Alhambra salio el Rey de Granada muy humildemente con la cabeza inclinada, con cinquenta de caballo, y las llaves en la mano, y fue muy bien recibido por del Rey, Aunque se quiso apear,[1] no lo consintio el Rey ni le dejo besar la mano pero el con todo esfuerzo, besandole el brazo le dio las llaves diciendo con harta pena : tomad senor las llaves de esta ciudad, que yo y los que estan dentro, somos vuestros

"وفي يوم الإثنين الموافق الثاني من يناير سنة 1492م، وعندما إقترب الملكان الكاثوليكيان من قصر الحمراء، خرج سلطان غرناطة أبو عبد الله محمد الثاني عشر(Boabdil) لإستقبالهما في مشهد إتسم بالتواضع و الإنكسار، إذ كان مطأطئ الرأس يرافقه خمسون فارساً، ويحمل مفاتيح المدينة بيده وقد إستقبله الملك فرديناند إستقبالاً حسناً وعندما هم السلطان بالنزول عن فرسه إحتراماً له، منعه

[1] Garibay y Zamalloa, Compendio Historial, Op,Cit, ,p674.

الملك من ذلك كما لم يسمح له بتقبيل يده، إلا أن السلطان قبل ذراعه ثم سلمه مفاتيح المدينة وهو يقول في أسى بالغ :تفضلوا ياسيدي ،هذه مفاتيح هذه المدينة فأنا ومن فيها أصبحنا تحت سلطانكم"

يعكس هذا النص الطقوس السياسية والرمزية التي صاحبت تسليم مدينة غرناطة للملكين الكاثوليكيين، حيث حمل السلطان ابو عبد الله الصغير مفاتيح المدينة بنفسه في إشارة إلى إنتقال السيادة رسمياً إلى الطرف المنتصر، كما يبرز النص حالة الإنكسار التي عاشها أخر حكام بني نصر وهو مايظهر من خلال وصفه مطاطئ الرأس وكلامه الذي أعلن فيه خضوعه وخضوع سكان المدينة لسلطة الملكين الكاثوليكيين، وتعد هذه الواقعة من أبرز الأحداث المفصلية في تاريخ الأندلس لأنها مثلت النهاية الفعلية لدولة بني نصر، وبداية مرحلة جديدة إتسمت بقرض السيادة المسيحية على غرناطة وماتبع ذلك من تغيرات سياسية ودينية وإجتماعية عميقة في شبه الجزيرة الإيبيرية.[1]

Garibay y Zamalloa, Compendio Historial, Op,Cit, ,p674.[1]

خوان دي ماريانا Juan de Marian :

يعد "خوان دي ماريانا" المولود عام 1536م و المتوفى في طليطلة عام 1624م، أحد أبرز المؤرخين اللاهوتيين الإسبان. وينتمي ماريانا إلى الرهبنة اليسوعية، ويصنف ضمن المفكرين البارزين الذين عاصروا العصر الذهبي الإسباني إلى جانب قامات فكرية وقانونية كبرى مثل: بالتاسار غراسيان، فرانسيسكو سواريز، وبيدرو دي ريبادينيرا.[1]

Historiae de rebus Hispaniae libri: سلسلة كتب عن تاريخ إسبانيا متكونة من ثلاثون جزءا، تمت ترجمتها من الالتينية إلى الإسبانية، تم نشرها كاملة عام 1601م بطليطلة. مضمون العمل من التطرق لتاريخ إسبانيا منذ العصور القديمة إلى زمن ملوك الكاثوليك الحقبة المهمة بالنسبة لنا، من خلال هذا العمل العظيم برز الأسلوب التاريخي لخوان دي ماريانا كمؤرخ ناقد للأحداث السابقة، رغم الاتينية في الكتابة، إلا أنه أبرز جذور فكره الوطنية من خلال البحث في عظمة إسبانيا من خلال التركيز على أحداث الممالك الإسبانية، و بالخصوص تاريخ الملوك الكاثوليك وأبعاده السيادية.

تكتسي الوثائق والمصادر اللاتينية المعاصرة لحركة الاسترداد الإسبانية أهمية بالغة في دراسة المأساة الأندلسية، إذ تعكس وجهة النظر الرسمية للمنتصر و آليات التعامل مع المجتمع الأندلسي المغلوب. ومن هذه المصادر النفسية يسجل المؤرخ اللاتيني في كتابه 'تاريخ شؤون إسبانيا' في الكتاب السابع و العشرين، شهادة تاريخية حية و معاصرة لعام1492م، تؤرخ للحضات الأولى التي تلت سقوط مملكة غرناطة. ولا تقتصر قيمة هذا النص على رصيد الجانب السياسي والعسكري فحسب، بل تمتد لتكتشف الخلفيات الفكرية والدينية التي حركت قادة المماليك الكاثوليكية نحو نقض العهود والبدء في سياسة الطمس الديني للهوية الإسلامية، مستهدفة في المقام الأول فئات معينة من المجتمع الغرناطي، وهو ما نلمسه بدقة في قوله:

[1] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 575

Nouum Granatae regnum ftabiliendi regibus cura erar. Si Mauri quorum magna multitudo fupererat, Chriftiana facra fufeiperont, fore confultum videbatur ne a caeteris ciuibus in riligionis palacitis difcteparent. Quippe in religionis diffidio cocordia animoru inter ciues conftare non poteft. Euocato in cam rem Toletano praefule & quid facto opus effet monito, Reges Hifpalim difcefferunt. Archiepifcopi Toletanus & Granatenfis communicato confilio pareque ardore in opus ingreffi vitae probitate fimiles & promouendae religiones ftudio incenfi ex aequo ad Mauros Sariandos deligente nauare operam ftatuunt. Mauros quofdam Elches vulgo dictos.[1]

"لقد فتحت جبهة جديدة للمملكة الإسبانية، وبنيت كنيسة رائعة الجمال مرصعة بالحجر الأبيض الفاخر لتكون شاهدا على هذا العهد الجديد. وبذلك انضمت مملكة غرناطة إلى أملاك الملوك الكاثوليك، بعد أن كانت لقرون طويلة تئن تحت حكم ملوك المسلمين، والذين كانت أعدادهم هائلة جدا في تلك الأنحاء، فلو أن هؤلاء تطلعو إلى ما فيه صلاحهم و فتحو أعينهم على حقيقة الأمور لربما تيقنو أن النعمة المسيحية كادت أن تشملهم، ولما تفرق المواطنون في دينهم و عقيدتهم على هذا النحو المؤلم. إن غياب العهد والوفاء بالوعود في القلوب كان سببا في بث الخلاف والشقاق بينه ولكن عندما سار الملوك الكاثوليك إلى تلك الأرض، وتحديدا إلى مدينتي طليطلة وقرطبة، اختلف ملوك إسبانيا المسيحيون فيما بينهم حول التدابير، فاجتمع رؤساء الأساقفة والأساقفة من طليطلة وغرناطة للتشاور في هذا الشأن المشترك، وكان يملؤهم

[1] Juan de Mariana,Historiae de Rebus Hispaniae Libri XXX,Moguntiae,(1619),p508.

الشغف لدخول المدينة وبسط نفوذ الدين المسيحي وتعزيز حدوده. وبذلو جهودا حثيثة لدفع المسلمين نحو الخروج أو الإستسلام."[1]

يكشف هذا النص عن التحول السياسي والديني العميق الذي شهدته شبه الجزيرة الإيبيرية عقب سقوط مملكة غرناطة سنة 1492م، إذ إعتبر المؤرخ الإسباني أن ضم غرناطة إلى أملاك الملكين الكاثوليكيين فرناندو وإيزابيلا، لم يكن مجرد إنتصار عسكري، بل مثل بداية مرحلة جديدة في تاريخ إسبانيا اتسمت بتوحيد السلطة تحت الحكم المسيحي وانهاء الوجود الساسي الإسلامي الذي استمر قرابة ثمانية قرون، ويبرز النص هذا الحدث كان بالنسبة للمؤرخين الإسبان إيذانا بقيام مملكة اسبانيا الموحدة وتعزيز مكانة الملكية الكاثوليكية، كما يربط المؤلف سقوط غرناطة بالأوضاع الداخلية التي عاشتها مملكة بني نصر، مشيراً أن الإنقسامات الساسية والصراعات بين قادتها وضعف التماسك الداخلي، كانت من اهم العوامل التي سهلت تقدم القوات القشتالية ويؤكد أن غياب الوفاء بالعهود وتشتت كلمت المسلمين اضعف قدرتهم على مواجهت الخطر الخارجي، وهو مايتفق مع عدد من المصادر التاريخية التي ترى ان التفكك الداخلي كان سببا رئيسيا في انهيار اخر معاقل المسلمين في الأندلس، ومن جانب آخر، يوضح النص أن ملوك الكاثوليك لم يكتفوا بالعمل العسكري، بل اعتمدوا أيضا على سياسة دينية هدفت إلى ترسيخ النفوذ المسيحي في الأراضي المفتوحة، من خلال التعاون مع رجال الكنيسة والأساقفة الذين لعبوا دورا بارزا في دعم مشروع الإسترداد المسيحي وإضفاء الشرعية الدينية عليه، كما تشير الرواية إلى أن تشديد الحصار على غرناطة وإحكام السيطرة على حدودها كان جزءا من استراتيجية متكاملة لإجبار المسلمين على الإستسلام أو الرحيل، وهو ما مهد لاحقا لسياسات التنصير القسري والطرد التي تعرض لها المسلمون بعد سقوط المدينة، وعليه فإن هذا الإقتباس يعكس الرؤية الإسبانية التقليدية لسقوط غرناطة التي تنضر إليه بوصفه لحظة تاسيس للدولة الإسبانية الحديثة وانتصارا للمشروع الكاثوليكي، بينما يكشف في الوقت نفسه أن ضعف مملكة بني نصر وانقسامها الداخلي كان من أبرز الأسباب التي عجلت بزوال الحكم الإسلامي في الأندلس،

[1] Juan de Mariana,Historiae de Rebus Hispaniae, Op,Cit,,p508.

لذلك يمثل هذا النص مصدرا مهما لفهم كيفية تناول المؤرخين الإسبان لأحداث سنة 1492م وتفسيرهم للأسباب التي أدت إلى سقوط آخر إمارة إسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية.[1]

Juan de Mariana,Historiae de Rebus Hispaniae, Op,Cit,,p508.[1]

دييغو أورتيز دي زونييغا–Diego Ortiz de Zúñiga

مؤرخ وكاتب اسباني، ولد بمدينة إشبيلية سنة 1636م وتوفي بها سنة 1680م، كرس جانباً كبيراً من مؤلفاته لدراسة تاريخ مدينة إشبيلية وعلاقاتها السياسية والدينية واعتبرها من ابرز المدن الأندلس وعاصمتها التاريخية، كما أولى اهتماماً خاصاً بتاريخ المؤسسات الكنيسة وتطورها ومن أشهر مؤلفاته كتاب : los Annales Eclesiasticos y Seculares de la Muy Noble y Muy Leal Ciudad de Sevilla Metropolio de Andalucia الذي يعد سجلا تاريخيا يوثق أحداث مدينة إشبيلية منذ استردادها سنة 1248م وحتى سنة 1671م متناولاً التحولات السياسية والإجتماعية التي شهدتها المدينة بما في ذلك الأثار التي ترتبت على سقوط غرناطة سنة 1492م وما تبعه من تغيرات عميقة في تاريخ الاندلس.[1]

اتجهت السياسة القشتالية إلى الجمع بين الوسائل العسكرية والضغوط النفسية من اجل إرغام المدن الإسلامية على الإستسلام، فلم يقتصر الأمر على الحصار و العمليات القتالية، بل عمدا الملكان الكاثوليكيان إلى توجيه رسائل رسمية إلى مدينة غرناطة وبقية الحصون التي لم تخضع بعد، تضمنت وعوداً بالأمان وحسن المعاملة لمن يستسلم، يقابلها التهديد بالحرب والقتل وإحراق المدن في حال رفض التسليم، ويعكس هذا الأسلوب إصرار ملوك الكاثوليك على إنهاء الوجود الإسلامي في الأندلس مع توظيف مختلف الوسائل السياسية والعسكرية لتحقيق هذا الهدف وهو ماتؤكده الرواية الإسبانية في النص الآتي حيث يقول الكاتب:

"Tratando de proseguir la guerra embiaron los Reyes cartas de requerimiento a la ciudad de Granada y lugares que restauanpor conquistar exhortandolos a entregarse en que les ofrecian toda benignidad y intimandoles a sangre y fuego su ultima.[2]"

[1] فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية»، مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، مج 07، ع 01، 2021، ص 575

[2]. Digo Ortiz de Zuniga, Annales eclesiasticos y seculares de la muy noble y muy leal ciudad de Sevilla, Madrid :Imprenta Real,1677,p405

"وسعيا إلى مواصلة الحرب، أرسل الملكان الكاثوليكيان رسائل إلى مدينة غرناطة وإلى المناطق والحصون التي كانت لاتزال خارج سيطرتهما يحثان فيها سكانها على الإستسلام ويعرضان عليهم كل أنواع اللين وحسن المعاملة، وفي الوقت نفسه ينذرانهم بأنهم إن لم يفعلوا ذلك فسيواجهون الفتح بالقوة، وما يصاحبه من سفك للدماء و إحراق."

يظهر هذا النص أن ملوك الكاثوليك اتبعوا سياسة الجمع بين الترغيب والترهيب في حربهم ضد مملكة غرناطة، فقد عرضوا الأمان وحسن المعاملة لمن يستسلم وفي المقابل هددوا الرافضين بالحرب والقتل وإحراق المدن، كما يبرز استمرار استعداداتهم العسكرية حتى استكمال فتح غرناطة حيث يقول:

"**Que prometia a sus reyes acabar de hazer extirpacion de la morisma de España**." [1]

"وكانت هذه الحملة تعد تحقيقا للوعد الذي قطعه الملكان الكاثوليكيان بأن يتم القضاء وإستئصال الوجود الإسلامي في إسبانيا."

يمكن اعتبار هذا الإقتباس شاهداً تاريخياً أولياً ذا دلالة بالغة الأهمية إذ يكشف عن الطبيعة الحقيقية للحملة العسكرية على غرناطة باعتبارها مشروعاً دينياً وسياسياً يتجاوز مجرد استرداد الارض إلى غاية أعمق تتمثل في "الإستئصال" الكامل للوجود الإسلامي من شبه الجزيرة الإيبيرية.

يعكس النص الاتي موقف المؤرخين والوثائق الإسبانية الرسمية من سقوط غرناطة حيث صور الحدث على أنه تتويج لحرب طويلة إنتهت باستسلام المدينة وتسليم قصر الحمراء للملكين الكاثوليكيين وهو ما اعتبر بداية جديدة في تاريخ إسبانيا حيث يقول:

"**La Ciudad de Granada la qual tenida y ocupador por ellos por mas de 780 años, en dos dias de Enero de este**

. [2] Digo Ortiz de Zuniga, , , Op,Cit, P406.

2

año de 1492 es venida en nuestro poder y señorio y se me entrego el Alhmbra la Ciudad, las otras fuerzas de ella, con todas los otros castillos fortalezas y pueblos.[1]"

"إن مدينة غرناطة التي ظلت في حوزة المسلمين وتحت سيطرتهم لأكثر من سبعمائة وثمانين عاماً، قد أصبحت في الثاني من يناير سنة 1492م تحت سلطاننا وسيادتنا وسلمت إلينا قلعة الحمراء والمدينة وسائر حصونها وقلاعها وجميع بلداتها التابعة."

يصف المؤلف بان الثاني من يناير 1492م هو عام من أفضل الأعوام التي شهدتها إسبانيا بعد أن كانت تعاني من المسلمين القادمين من إفريقيا وغيرهم من الأمم التي وصفها بالبربرية كما تكشف لغة النص عن نزعة احتفالية واضحة فالمؤلف لا يكتفي بسرد الوقائع بل يصوغها باعتبارها انتصاراً تاريخياً للإسبان وانتصاراً تاريخياً لهم وانتصاراً للسلطة الملكية، وهو مايتجلى في تعبيره بأن غرناطة أصبحت "تحت سلطاننا وسيادتنا" ويعكس هذا الأسلوب طبيعة الكتابات الإسبانية التقليدية التي نظرت إلى سقوط غرناطة باعتباره تتويجاً لمسيرة طويلة من الحروب ضد المسلمين وبداية مرحلة جديدة من توحيد إسبانيا سياسياً ودينياً تحت حكم الملكين الكاثوليكيين فرناندوا وإيزابيلا[2].

ومن جهة اخرى فإن التركيز على تسليم الحمراء وبقية القلاع يؤكد أن سقوط غرناطة لم يكن مجرد استيلاء على مدينة، بل كان إنهياراً كاملاً للمنظومة العسكرية والإدارية لمملكة بني نصر مما انهى الوجود السياسي الإسلامي في الأندلس كما يحمل النص دلالة رمزية إذ أصبحت الحمراء التي كانت رمزاً للحضارة الإسلامية في الأندلس، رمزاً لإنتصار الدولة الإسبانية الجديدة[3].

Digo Ortiz de Zuniga, Annales eclesiasticos y seculares de la muy noble y muy leal ciudad de Sevilla, Op,Cit,,P406.[1]

Ibid ,P406.[2]

García, B. L. (2018). el arabismo fuera del Centro de Estudios Históricos. La correspondencia [3] de Julián Ribera con José Castillejo. Revista de Estudios Internacionales Mediterráneos (.REIM)(25), 162-184

الفصل الثالث: سقوط الأندلس في المصادر الإسبانية الحديثة (مدرسة فرانسيسكو كوديرا و تلامذته)

ظهرت في الدراسات الإسبانية المتعلقة بتاريخ الأندلس اتجاهات متعددة اختلفت في مناهجها وفي نظرتها إلى المصادر التاريخية، ومن أبرزها مدرسة بني كوديرة[1] التي ارتبطت بالمستعرب الإسباني فرانسيسكو كوديرا [2] ,Francicco Codera)م-1836م(1917

وقد مثّلت هذه المدرسة مرحلة مهمة في تطور الدراسات الإسبانية حول تاريخ الأندلس إذ سعت إلى تجاوز بعض التصورات التقليدية والاعتماد بصورة أكبر على المصادر العربية والإسلامية والاستفادة منها في إعادة دراسة تاريخ الأندلس وعلاقته بالتاريخ الإسباني.[3]

اهتم كوديرا وأتباع مدرسته بجمع المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها كما عملوا على توظيفها في دراسة تاريخ الأندلس الأمر الذي ساهم في فتح مجالات جديدة أمام الباحثين الإسبان لدراسة الفترة الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية ومن خلال هذا التوجه حاولت المدرسة إقامة نوع من التكامل بين المصادر العربية والمصادر الإسبانية، والاستفادة من الروايات المختلفة من أجل الوصول إلى قراءة أكثر اتساعًا للأحداث التاريخية وقد أسهم هذا الاتجاه في إحداث تحول واضح في الدراسات الأندلسية إذ لم تعد المصادر العربية تُنظر إليها باعتبارها مجرد روايات ثانوية وإنما أصبحت مادة أساسية لفهم التاريخ السياسي والحضاري للأندلس كما اهتم المستعربون المنتمون إلى هذا الاتجاه بدراسة اللغة العربية وآدابها ومخطوطاتها وتحقيق النصوص ونشرها وهو ما أدى إلى تراكم مادة علمية واسعة حول تاريخ المسلمين في شبه الجزيرة الإيبيرية ومن جهة أخرى لم يقتصر اهتمام مدرسة بني كوديرا على الجانب السياسي والعسكري من تاريخ الأندلس بل امتد إلى دراسة مختلف مظاهر الحضارة الأندلسية بما في ذلك العلوم والآداب واللغة والمؤسسات والمجتمع وقد ساعد ذلك على إبراز الأندلس بوصفها جزءًا مهمًا من تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية وعلى تجاوز النظرة التي كانت تختزل الوجود الإسلامي في الأندلس في الصراع العسكري والديني بين المسلمين والمسيحيين كما كان لهذا الاتجاه دور في إعادة النظر في التصورات التقليدية

[1] Burillo, F. d. (2008). Nuevas y viejas fuentes sobre los "Beni Codera". Miscelánea de estudios .árabes y hebraicos. Sección Arabe-Islam(57), 425-450

[2] Emilio García Gómes, V. 1. (1950). Homenaje a don Francisco Codera (1836-1917). AlAndalus, 15(2), 263-274

[3] Benumey, R. G. (2008). Arabismo y arabistas españoles en la Alianza de Civilizaciones. Diálogo mediterráneo(47), 56-57.

المتعلقة بالمسلمين في إسبانيا إذ ساهم الاعتماد على المصادر العربية في الكشف عن جوانب متعددة من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للأندلس ومن ثم أصبحت أعمال المستعربين الإسبان اللاحقين امتدادًا للمنهج الذي وضع أسسه كوديرا وإن اختلفت مواقفهم وتفسيراتهم باختلاف الفترات والتيارات الفكرية التي ينتمون إليها وعليه يمكن القول إن مدرسة بني كوديرا شكلت حلقة أساسية في تطور الاستعراب الإسباني من خلال إعطاء أهمية أكبر للمصادر العربية وإعادة توظيفها في كتابة تاريخ الأندلس كما مهدت هذه المدرسة لظهور دراسات إسبانية لاحقة حاولت إعادة تقييم التجربة الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية سواء من حيث أسباب قيام الحضارة الأندلسية وازدهارها، أو من حيث عوامل ضعفها وانحسارها وصولًا إلى سقوط غرناطة سنة 1492م وبالتالي كان الخروج الموفق من مضيق انتصار الكاثوليك وطرد المسلمين الغاصبين [1]ومن مؤرخي بني كوديرا: ماريا خيسوس بيغيرا مولينس، فرناندو رودريغيز ميديانو، باسكال بورسي، غابريال مارتينيز غروس،هيلينا دي فيليبي، مريبال فييرو، لويس مولينا، انا إيتشابريا ارسواغا، وأخرون.

[1] Bedarnia Mbarka, C. R.-E.-6.-1. (2015). Analises linguisticos de los arabizmos en la lengua espanola. Candil. Revista del Hispanismo(15), 69-104

باسكال بوريزيpascal buresi: الأندلس بين الشرق والغرب: اختراع الأصول:

شكّل تاريخ الأندلس مجالًا بارزًا في الدراسات التاريخية والاستعرابية الأوروبية ولا سيما في إسبانيا نظرًا لما تمثله التجربة الإسلامية في شبه الجزيرة الإيبيرية من حضور بارز في تشكيل تاريخها السياسي والحضاري والثقافي وقد ارتبطت دراسة الأندلس منذ بدايات تشكل الكتابة التاريخية الحديثة بإشكالية أساسية تتمثل في تحديد موقع التجربة الإسلامية ضمن التاريخ الإسباني وما إذا كانت تمثل مرحلة أجنبية ومنفصلة عن تاريخ إسبانيا، أم أنها جزء أصيل من تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية وتراثها الحضاري ومن هذا المنطلق تعددت اتجاهات المؤرخين والباحثين في تناول تاريخ الأندلس فتباينت مواقفهم بين اتجاه ركز على استمرارية العناصر الإسبانية السابقة واللاحقة للوجود الإسلامي واتجاه آخر أكد حجم التحول الذي أحدثه الفتح الإسلامي في البنية السياسية والاجتماعية والثقافية لشبه الجزيرة الإيبيرية وقد انعكست هذه الاختلافات على تفسير طبيعة الحضارة الأندلسية ومكانتها في التاريخ الإسباني، وكذلك على فهم مراحل تراجع الحكم الإسلامي وسقوطه

وفي هذا السياق يكتسب مقال المؤرخ الفرنسي باسكال بوريزي الموسوم بـ «الأندلس بين الشرق والغرب: اختراع الأصول» أهمية خاصة؛ إذ يتناول إشكالية كتابة تاريخ الأندلس ويناقش الطريقة التي تعامل بها المؤرخون مع الإرث الإسلامي للأندلس وعلاقته بتكوين الهوية الإسبانية. كما يستعرض تطور الدراسات التاريخية حول الأندلس وينبه إلى أثر التصورات القومية والدينية في تشكيل بعض الأحكام المتعلقة بالماضي الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية وعليه فإن دراسة هذا المقال في مستهل المبحث تتيح الوقوف على الخلفية الفكرية والمنهجية التي نشأت وتطورت ضمنها الكتابات الإسبانية حول الأندلس وهو ما يمهد للانتقال بعد ذلك إلى دراسة مدرسة بني كوديرة وموقفها من تاريخ الأندلس وسقوط الحكم الإسلامي فيها[1]

ينطلق باسكال بوريزي من إشكالية أساسية تتعلق بكيفية دراسة تاريخ الأندلس إذ يرى أن عددًا من الباحثين تعاملوا مع الأندلس باعتبارها موضوعًا محصورًا داخل الإطار الجغرافي لشبه الجزيرة الإيبيرية وفسروها في ضوء ثنائية تقوم من جهة على مواجهة المسيحية اللاتينية، ومن جهة أخرى على مواجهة

[1] Pascal BURESI, « Al-Andalus entre Orient et Occident : l'invention des origines », dans Manuela MARÍN (éd.), Al-Andalus / España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI, Madrid, Casa de Velázquez, 2009, pp. 119-129.

القوى والقبائل المغاربية غير أن الباحث يؤكد أن هذا التصور يصبح أقل ملاءمة ابتداءً من أواخر القرن الحادي عشر نتيجة ارتباط الأندلس سياسيًا وإمبراطوريًا بالمغرب خلال العصرين المرابطي والموحدي وتبرز أهمية هذا الطرح في كونه ينتقد النظرة التي تفصل تاريخ الأندلس عن محيطه الإسلامي ويؤكد ضرورة تجاوز القراءة المنغلقة على الحدود الجغرافية والسياسية الحديثة فالأندلس وفق هذا التصور لا يمكن فهم تاريخها في القرون الوسطى بمعزل عن علاقاتها بالمشرق والمغرب وعن حركة الأفكار والسلطة والعلم والثقافة داخل المجال الإسلامي. ويمنح هذا المنظور أهمية خاصة للعوامل السياسية والاجتماعية والثقافية بدل اختزال تاريخ الأندلس في الصراع العسكري بين المسلمين والمسيحيين ويولي بوريزي مسألة الهوية الإسبانية أهمية كبيرة في تفسير تطور الكتابة التاريخية حول الأندلس؛ إذ يلاحظ أن مسألة الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ارتبطت بصورة مباشرة بإشكالية تشكل الأمة الإسبانية فقد ظل الإسلام، في بعض التصورات التاريخية، يمثل عنصرًا مغايرًا للهوية المسيحية التي قامت عليها الدولة الإسبانية الحديثة، وهو ما جعل إدماج الفترة الممتدة بين سنة 711م وسنة م1492 في السردية التاريخية الإسبانية مسألة معقدة ولذلك كما يرى بوريزي الكتابات الإسبانية بين تصور لإسبانيا باعتبارها جزءًا من المجال الأوروبي المسيحي وتصور آخر يبرز ارتباطها بالمجال الإفريقي الإسلامي نتيجة التجربة الأندلسية ومن النقاط المهمة التي يطرحها المقال كذلك أن المؤرخين والمستعربين الإسبان في القرنين التاسع عشر والعشرين لم يتمكنوا من تجاهل مسألة أثر الفتح الإسلامي في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية[1] ويذكر بوريزي عددًا من الأسماء التي ساهمت في دراسة التراث الأندلسي، من بينها كوندي، وسيمونيت، ودوزي، وغايانغوس، بما يكشف عن تشكل تقليد استعرابي إسباني وأوروبي اهتم بدراسة المصادر العربية وتاريخ المسلمين في الأندلس غير أن أهمية المقال لا تكمن فقط في رصد أسماء المستعربين وإنما في نقده لبعض الاتجاهات التي حاولت تفسير تاريخ الأندلس من خلال منطلقات قومية أو عرقية فبوريزي يوضح أن بعض المؤرخين بالغوا في تفسير الأحداث السياسية والعسكرية من خلال ثنائية العرب والبربر والأندلسيين وكأن الانتماء العرقي كان العامل الحاسم في تفسير نجاح الدول أو إخفاقها. ويشكك الباحث في هذا التفسير موضحًا أن بعض الوقائع التي نسبت إلى الانقسامات العرقية يمكن تفسيرها بعوامل اقتصادية واجتماعية وسياسية أكثر واقعية ويظهر هذا المنهج النقدي بوضوح في معالجة بوريزي لتراجع الأندلس فهو لا يقبل تفسيره

[1] Pascal BURESI, « Al-Andalus entre Orient et Occident… », op. cit., pp. 119-129.

بعامل واحد وإنما ينتقد اختزال التراجع في ضعف مفهوم الجهاد أو الانقسامات الدينية ويشير إلى أهمية عوامل أخرى مثل الديناميكية الديموغرافية والنمو الاقتصادي وتوفر الموارد والظروف الاجتماعية والسياسية. وبذلك يقدم قراءة أكثر تركيبًا لمسار التراجع الإسلامي، بدل اعتماد تفسير أحادي الجانب كما ينتقد بوريزي ما يسميه التاريخ «الثقافي» المنفصل عن التاريخ الاجتماعي، إذ يرى أن الدراسات القديمة ركزت بدرجة كبيرة على البلاطات الملكية والمدن والأيديولوجية السياسية، بينما أهملت فئات واسعة من المجتمع، مثل الفلاحين والحرفيين والتجار والعلماء. وقد ساهم تطور علم الآثار وتوظيف المصادر الجديدة في إعادة التوازن إلى الدراسات الأندلسية، من خلال الاهتمام بالسكان والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي والعلاقات بين السلطة والمجتمع ومن خلال ذلك يتضح أن بوريزي ينظر إلى تاريخ الأندلس باعتباره مجالًا شهد تحولًا في مناهج الكتابة التاريخية فبعد أن كانت بعض الدراسات محكومة بالتصورات القومية والعرقية والدينية بدأت الدراسات الحديثة تتجه نحو مقاربة أكثر تركيبًا تراعي تعدد العوامل [1]السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ويشير الباحث إلى أن نهاية القرن العشرين مثلت مرحلة مهمة في هذا التحول داخل إسبانيا حيث شهدت الدراسات الأندلسية تجددًا في مقارباتها وعليه يمكن القول إن قيمة مقال بوريزي بالنسبة لهذا المبحث تتمثل في أنه لا يقدم مجرد سرد لتاريخ الأندلس وإنما يكشف عن تطور الطريقة التي كُتب بها هذا التاريخ، وينبه إلى ضرورة التمييز بين الحدث التاريخي وبين التصورات التي صاغها المؤرخون حوله. وهذه النقطة مهمة في دراسة الكتابات الإسبانية حول سقوط الأندلس لأن فهم تفسير سقوط الحكم الإسلامي يقتضي أولًا معرفة الخلفيات الفكريةوالمنهجية التي حكمت المؤرخين في قراءتهم لهذا الحدث ومن ثم، فإن المقال يمثل مدخلًا مناسبًا للانتقال إلى دراسة مدرسة بني كوديرة، باعتبارها مرحلة مهمة في تطور الاستعراب الإسباني ودراسة تاريخ الأندلس فبعد الوقوف على الإطار العام الذي يبين تطور النظرة إلى الأندلس والجدل حول موقعها في التاريخ الإسباني يمكن الانتقال إلى دراسة رواد هذه المدرسة ومؤلفاتهم ومناهجهم في التعامل مع المصادر العربية ثم تحليل كيفية تناولهم لأسباب تراجع الحكم الإسلامي وسقوط الأندلس

[1] Pascal BURESI, « Al-Andalus entre Orient et Occident… », op. cit., pp. 119-129.

هيلينا دي فيليبي Helena de felipe :الدراسات الإسبانية للبربر

تُعد دراسة هيلينا دي فيليبي los estudios sobre bereberes en la historigrafia española

من الدراسات التي تتيح فهم التحولات التي عرفتها الكتابة التاريخية الإسبانية في تعاملها مع الموروث الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية وعلى الرغم من أن موضوع الدراسة المباشر يتمثل في تتبع الدراسات الإسبانية المتعلقة بالبربر فإن أهميتها بالنسبة إلى تاريخ الأندلس تكمن في كشفها عن الإطار الفكري الذي نشأت داخله الدراسات الاستعرابية الإسبانية وعن المكانة التي احتلتها الأندلس الإسلامية في اهتمام المؤرخين والمستعربين الإسبان وتنطلق الباحثة من التمييز بين اتجاهين أساسيين في الدراسات الإسبانية هما الاستعراب (Arabismo) والإفريقانية (Africanismo) وقد ارتبط الاتجاه الأول بصورة أساسية بدراسة اللغة العربية ومصادرها وبالتاريخ الإسلامي لشبه الجزيرة الإيبيرية الأمر الذي جعل الأندلس مجالًا مركزيًا في أعمال المستعربين الإسبان. ويكشف هذا الاهتمام أن تاريخ المسلمين لم يكن بالنسبة إلى هؤلاء الباحثين مجرد مرحلة عابرة يمكن تجاوزها في كتابة تاريخ إسبانيا وإنما كان مجالًا معرفيًا ضروريًا لفهم مراحل مهمة من تاريخ البلاد وتبرز أهمية ذلك من خلال استعمال مفهوم «España musulmana» أي «إسبانيا الإسلامية» الذي يعكس انتقال الأندلس من كونها موضوعًا مرتبطًا بتاريخ الفتح والصراع بين المسلمين والمسيحيين إلى مجال تاريخي مستقل له خصوصيته السياسية والثقافية والحضارية[1] فدراسة إسبانيا الإسلامية اقتضت العودة إلى المصادر العربية وتحقيقها وترجمتها والاستفادة منها في إعادة بناء الأحداث التاريخية ومن ثم فإن الاعتراف بقيمة هذه المصادر يدل على أن الحضارة الإسلامية أنتجت تراثًا علميًا وتاريخيًا لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة الماضي الإسباني وتتضح قيمة الحضارة الإسلامية في هذا السياق من خلال طبيعة الموضوعات التي اهتم بها المستعربون إذ لم ينحصر اهتمامهم في الفتوحات والحروب وسقوط المدن بل امتد إلى دراسة اللغة والأدب والمؤلفات التاريخية والثقافة الأندلسية وهذا التحول في طبيعة الاهتمام يمثل جانبًا مهمًا في تطور صورة المسلمين في الكتابة التاريخية الإسبانية، لأن المسلم لم يعد يظهر فقط باعتباره خصمًا

[1] Helena de Felipe, «Los estudios sobre bereberes en la historiografía española: Arabismo y africanismo», en Manuela Marín (ed.), Al-Andalus/España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI, Madrid, Casa de Velázquez, 2009, p. 105.

عسكريًا للمسيحيين وإنما أصبح أيضًا منتجًا للمعرفة والثقافة وفاعلًا في تشكيل تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية ومن هنا يمكن ملاحظة أن الاستعراب الإسباني أسهم في إعادة إبراز الجانب الحضاري من التجربة الإسلامية في الأندلس فالعناية بالمصادر العربية والأندلسية تعني الاعتراف بأن فهم تاريخ إسبانيا لا يكتمل بالاعتماد على المصادر المسيحية وحدها وإنما يحتاج كذلك إلى الرواية التي أنتجها المسلمون أنفسهم. وهذا الأمر ذو أهمية منهجية كبيرة لأن المصادر العربية أصبحت وسيلة للكشف عن جوانب من التاريخ الأندلسي لم تكن المصادر المسيحية قادرة على تقديمها بصورة كاملة كما أن الاهتمام بما تسميه الباحثة المجال الاسباني–العربي يكشف عن محاولة لربط التراث العربي الإسلامي بالتاريخ الإسباني فالأندلس لم تعد في هذا التصور مجرد فضاء جغرافي عاش فيه المسلمون بل أصبحت مرحلة من مراحل التاريخ الثقافي والحضاري لإسبانيا وعلى الرغم من أن هذا التصور لا يخلو من خلفيات فكرية مرتبطة بمحاولة إدماج الأندلس في السردية التاريخية الإسبانية فإنه في الوقت نفسه أدى إلى إبراز الدور الذي لعبه المسلمون في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية[1].

ويُلاحظ هنا أن قيمة الحضارة الإسلامية في الكتابة الاستعرابية لا تظهر بالضرورة في شكل عبارات صريحة تمجّد المسلمين أو تمدحهم وإنما تظهر من خلال اختيار الأندلس الإسلامية موضوعًا للدراسة والاعتراف بأهمية مصادرها وإعادة الاعتبار إلى إنتاجها العلمي والثقافي

[1] Helena de Felipe, «Los estudios sobre bereberes en la historiografía española: Arabismo y africanismo»,Op,Cit,p105

غابرييل مارتينيز–غروسGabriel Martinez–Gros: من رينهارت دوزي إلى إيفاريست ليفي–بروفنسال، أو من عصر الثورات إلى عصر الإسلاميات

يقدم غابرييل مارتينيز قراءة نقدية لتطور الكتابة التاريخية حول الأندلس في الدراسات الفرنسية محددًا مسار هذا التطور بين منتصف القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين وينطلق الكاتب من عمل رينهارت دوزي Histoire des musulmans d'Espagneالصادر سنة 1861 Histoire de l'Espagne musulmaneوصولًا إلى مؤلف إيفاريست ليفي–بروفنسال المنشور سنة 1950م_1953م ولايكتفي مارتينيز–غروس بعرض إنتاج المؤرخين وإنما يحاول الكشف عن المرجعيات الفكرية والمناهج التي شكلت تصوراتهم حول الأندلس والإسلام والمجتمع الأندلسي وتكمن أهمية المقال في أنه لا ينظر إلى المؤرخين باعتبارهم منتجين محايدين للمعرفة التاريخية بل يربط كتاباتهم بالسياق الفكري والسياسي الذي عاشوا فيه ولذلك يقسم مارتينيز–غروس هذا التطور إلى مرحلتين أساسيتين: مرحلة القرن التاسع عشر، التي يمثلها دوزي وألبير دو سيركور ومرحلة القرن العشرين التي يمثلها ليفي–بروفنسال ولويس برتران. ويرى أن هذا الانتقال لم يكن مجرد تطور في الأدوات العلمية وإنما صاحبه تحول في طريقة النظر إلى الإسلام والأندلس فبالنسبة إلى رينهارت دوزي يبرز المقال تأثره بالفكر التنويري الأوروبي وبالقيم التي ارتبطت بعصر الثورات ولا سيما مفاهيم التقدم والإنسانية والتغير الاجتماعي ومن ثم فإن دوزي لا يتعامل مع التاريخ الإسلامي باعتباره تاريخًا منفصلًا بصورة مطلقة عن التاريخ الأوروبي بل يسقط عليه بعض القوانين العامة التي يرى أنها تحكم حركة المجتمعات ويشير مارتينيز–غروس إلى أن دوزي كان يرى في التاريخ الأندلسي مظاهر من الصراعات السياسية والاجتماعية والتغيرات التي يمكن مقارنتها بما عرفته أوروبا ولذلك استطاع أن يقدم الأندلسيين بصورة إيجابية نسبيًا في مقابل موقف أكثر سلبية من بعض القوى التي دخلت في صراع معهم خاصة البربر وبعض خصومهم الإسبان[1] وتظهر هنا إحدى أهم النتائج التي يقدمها المقال وهي أن صورة الحضارة الإسلامية في الأندلس عند دوزي لم تكن صورة سلبية مطلقة فقد اعترف بأهمية التطور الحضاري والثقافي والسياسي الذي عرفته الأندلس وربط ذلك بمفاهيم التقدم والتمدن

[1].Gabriel Martínez-Gros, « De Reinhart Dozy à Évariste Lévi-Provençal ou de l'ère des révolutions à celle de l'islamologie », in Manuela Marín (dir.), Al-Andalus/España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI, Madrid, Casa de Velázquez, 2009, pp. 51

ويقدم مارتينيز-غروس مثالًا مهمًا حين يوضح أن دوزي رأى في تاريخ الأندلس مظاهر تشبه التحولات الأوروبية مثل تشكل الدول والصراعات الاجتماعية والحركات الشعبية وظهور طبقات اجتماعية جديدة وبذلك أصبحت الأندلس في كتابته مجالًا يمكن من خلاله تطبيق تصور أوروبي عام حول تطور المجتمعات غير أن هذه الإيجابية لا تعني أن رؤية دوزي خالية من الأحكام المسبقة فمارتينيز-غروس يكشف أن دوزي كان يفسر التاريخ الأندلسي من خلال منظومة فكرية أوروبية الأمر الذي جعله يقارن باستمرار بين التجربة الأندلسية والتجربة الأوروبية. ومن هنا يمكن القول إن قيمة عمله تكمن من جهة في إعادة الاعتبار للمصادر العربية ودراسة التاريخ الأندلسي دراسة علمية لكنها من جهة أخرى تظل مرتبطة بالتصورات الفكرية السائدة في أوروبا خلال القرن التاسع عشر أما المرحلة الثانية، التي يمثلها إيفاريست ليفي-بروفنسال، فيرى مارتينيز-غروس أنها تختلف عن مرحلة دوزي بسبب ارتباطها الأكبر بسياق الاستعمار الأوروبي وتطور علم الإسلاميات فبينما كان دوزي يقرأ تاريخ الأندلس من خلال مفاهيم التقدم والتحول والثورة، أصبح الإسلام في بعض الكتابات الاستشراقية في القرن العشرين يُقدَّم باعتباره نظامًا أكثر ثباتًا واستمرارية، بما في ذلك قوانينه وعاداته ويعتبر مارتينيز-غروس أن هذا التحول يمثل انتقالًا من رؤية تاريخية متأثرة بفكر الثورات إلى رؤية أكثر ارتباطًا بالإسلاميات والاستشراق الحديث. ويظهر الفرق بوضوح عند مقارنة معالجة دوزي وليفي-بروفنسال للأزمات السياسية في الأندلس فبحسب مارتينيز-غروس كان دوزي يبحث عن منطق تاريخي وراء الأحداث بينما يميل ليفي-بروفنسال، في بعض المواضع التي يناقشها المقال إلى وصف الأحداث والشخصيات دون تقديم تفسير تاريخي شامل لها ويستشهد الكاتب بموقف ليفي بروفنسال من ثورة ابن حفصون إذ يصوره باعتباره شخصية متقلبة [1]وانتهازية ويطرح تساؤلات حول حقيقة أهدافه السياسية، بدل تفسير الثورة ضمن بنية اجتماعية وسياسية أوسع ومن الناحية النقدية، فإن أهمية مقال مارتينيز-غروس بالنسبة إلى دراسة سقوط الأندلس من خلال الكتابات الأوروبية تتمثل في أنه ينبه الباحث إلى ضرورة التمييز بين الحدث التاريخي نفسه وبين الصورة التي يصنعها المؤرخ عنه. فالمؤرخ لا يصف الماضي فقط، بل يعيد بناءه وفق المفاهيم الفكرية والمناهج التي ينتمي إليها. ولذلك فإن دراسة سقوط الأندلس لا ينبغي أن تقتصر على معرفة ما قاله المؤرخون عن أسباب السقوط، وإنما ينبغي أيضًا دراسة لماذا قدموا هذه الأسباب بهذه الطريقة، وما الخلفيات الفكرية التي أثرت في

[1] Gabriel Martínez-Gros, « De Reinhart Dozy à Évariste Lévi-Provençal…» op. cit., pp. 51-65.

تفسيرهم لها وعليه يكشف المقال أن historiography الأندلسية مرت بتحول واضح بين القرن التاسع عشر والقرن العشرين فقد ارتبطت المرحلة الأولى ممثلة بدوزي بفكر التنوير والثورات والقيم الكونية للتقدم والإنسانية وهو ما سمح بإبراز جوانب من ازدهار الأندلس وحضارتها. أما المرحلة الثانية، ممثلة بليفي-بروفنسال فقد أصبحت أكثر ارتباطًا بتطور الإسلاميات وبالسياق الاستعماري الأوروبي مما أدى إلى ظهور تصورات أكثر ثباتًا وجوهرانية حول الإسلام والمجتمعات الإسلامية. وهذه النتيجة تجعل المقال مصدرًا مهمًا لفهم تطور صورة الأندلس والمسلمين في الكتابة الأوروبية، وليس مجرد دراسة لسيرة مؤرخين اثنين[1].

[1] Gabriel Martínez-Gros, « De Reinhart Dozy à Évariste Lévi-Provençal…» op. cit., pp. 51-65.

مقال ماريا خيسوس فيغيرا **Maria jesus viguera**: الأندلس وإسبانيا: حول الجوهرانية لدى بني كوديرة

يُعد مقال الباحثة الإسبانية ماريا خيسوس فيغيرا مولينس الموسوم ب:

Al-Andalus y España. Sobre el esencialismo de los Beni Codera

من الدراسات المهمة التي تناولت تطور الكتابة التاريخية الإسبانية حول الأندلس، وخاصة الاتجاه الذي ارتبط بالمستعرب الإسباني فرانسيسكو كوديرا وتلاميذه ومن جاء بعده، والذين عُرفوا باسم بني كوديرا. وقد نشرت الدراسة ضمن كتاب:

Al-Andalus/España. Historiografías en contraste: siglos XVII-XXI

تنطلق فيغيرا من فكرة أساسية مفادها أن مدرسة بني كوديرا جعلت من الأندلس محوراً رئيسياً لدراسة التاريخ الإسباني ولم تتعامل معها باعتبارها مرحلة هامشية أو مجرد فترة من فترات الصراع بين المسلمين والمسيحيين وإنما سعت إلى البحث في الروابط التي جمعت الأندلس بالمجتمع الإسباني ولهذا ركزت المدرسة على إبراز المكوّن الإسباني في الأندلس وفي المقابل المكوّن العربي في إسبانيا وهذا التصور يكشف، بصورة واضحة عن تقدير أهمية الحضارة الإسلامية في تشكيل التاريخ الإسباني لأن دراسة إسبانيا لا يمكن وفق هذا الاتجاه أن تتم بمعزل عن دراسة قرون الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ويظهر تقدير بني كوديرا للحضارة الإسلامية بصورة أكبر من خلال اهتمامهم بمختلف المظاهر الثقافية التي تركها المسلمون في إسبانيا فقد اهتموا بدراسة اللغة العربية وآثارها في اللغة الإسبانية، والأدب، والأمثال، والحكايات، والأسماء الجغرافية[1] وغيرها من المجالات التي تكشف عن عمق التفاعل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الإسبانية. وتوضح فيغيرا أن مجلة Al Andalus التي صدرت بين 1933و1978م عكست هذا التوجه من خلال ما تسميه «الموضوعات الجذرية»

[1] María Jesús Viguera Molins, «Al-Andalus y España: Sobre el esencialismo de los Beni Codera», in Manuela Marín (coord.), Al-Andalus/España: Historiografías en contraste: siglos XVII-XXI, Madrid, Casa de Velázquez, 2018, pp. 67-81.

التي بحثت في الأصول الأندلسية لبعض العناصر الإسبانية و«الموضوعات الجسرية»التي ركزت على العناصر التي انتقلت بين الثقافتين مثل الخرجات والأمثال والحكايات العربية الإسبانية وأسماء الأماكن ومن خلال هذا الاهتمام يتضح أن الأندلس الإسلامية لم تكن بالنسبة إلى هذا الاتجاه مجرد موضوع سياسي أو عسكري بل كانت حضارة ذات تأثير عميق في المجتمع الإسباني فالبحث عن الأصول الأندلسية لبعض المظاهر الثقافية الإسبانية يعني الاعتراف بأن الحضارة الإسلامية تركت آثاراً تجاوزت حدود الدولة والمرحلة السياسية، واستمرت في اللغة والثقافة والذاكرة الجماعية. ومن هنا يمكن القول إن دراسات بني كوديرا أسهمت في نقل صورة الأندلس من مجرد «ماضٍ إسلامي» إلى تراث تاريخي وثقافي له حضور داخل إسبانيا كما أن فيغيرا تشير إلى نجاح هذه المدرسة في نشر الاهتمام بالأندلس خارج الأوساط المتخصصة فقد تجاوز تأثيرها الجامعات والأكاديميات إلى مستويات أوسع من المجتمع وهو ما أدى إلى انتشار اهتمام عام بالأندلس وإلى قبول أوسع لفكرة العنصر الإسباني–العربي وترى الباحثة أن هذا الاتجاه ساعد، ولو بصورة مؤقتة على إزالة بعض التحفظات تجاه الماضي العربي الإسلامي لإسبانيا وتكتسب هذه النقطة أهمية خاصة عند الحديث عن تمجيد الحضارة الإسلامية؛ لأن الاعتراف الواسع بإسهامات الأندلسيين المسلمين في اللغة والأدب والثقافة والعمران لا يمكن فصله عن تقدير المنجز الحضاري الإسلامي نفسه فحين يبحث المؤرخون الإسبان عن العناصر العربية والأندلسية الموجودة في الثقافة الإسبانية فإنهم يقرون بصورة غير مباشرة بأن الوجود الإسلامي كان منتجاً للحضارة وأن تأثيره لم يختف بانتهاء الحكم الإسلامي، وإنما بقيت آثاره ممتدة في جوانب متعددة من الحياة الإسبانية.[1]

ومن أهم ما يميز هذا الاتجاه كذلك مفهوم «إسبانيا المسلمة» (España musulmana) الذي أصبح تعبيراً عن محاولة الربط بين التاريخ الإسلامي والتاريخ الإسباني وترى فيغيرا أن هذه الرؤية الاستمرارية كانت من أبرز خصائص بني كوديرا إذ حاولوا إقامة نوع من الانسجام بين الأندلس وإسبانيا وهذا التصور يحمل دلالة مهمة؛ فهو لا ينظر إلى المسلمين باعتبارهم عنصراً عابراً في تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية بل يجعل الفترة الإسلامية مكوناً أساسياً لفهم تاريخ إسبانيا وتطورها ومع ذلك فإن فيغيرا لا تقدم هذا الاتجاه بصورة تمجيدية مطلقة بل تحاول تحليله ونقده في الوقت نفسه فهي

[1] María Jesús Viguera Molins, «Al-Andalus y España: Sobre el esencialismo de los Beni Codera»Op,Cit,p67-81

تستعمل مفهوم «الجوهرانية» للإشارة إلى ميل بني كوديرا إلى البحث عن عناصر ثابتة ومشتركة بين الأندلس وإسبانيا وترى أن هذه الرؤية أدت إلى نوع من التوفيق القسري بين التاريخين خاصة عندما أصبح الهدف هو إثبات استمرارية إسبانية–عربية أكثر من دراسة الاختلافات التاريخية بينهما ولذلك فإن قيمة المقال لا تكمن فقط في إبراز تقدير بني كوديرا للتراث الإسلامي وإنما أيضاً في كشف الحدود المنهجية لهذا الاتجاه[1]

[1] María Jesús Viguera Molins, «Al-Andalus y España: Sobre el esencialismo de los Beni Codera»Op,Cit,p67-81

مقال آنا إتشيفاريا أرسواغاAna Echevarría Arsuaga: أمويّو دمشق، أمويّو قرطبة: مصير أسرة في الدراسات التاريخية الإسبانية في العصور الوسطى

يندرج مقال الباحثة الإسبانية آنا إتشيفاريا أرسواغا ضمن الدراسات الحديثة التي اهتمت بإعادة النظر في طريقة تناول المؤرخين الإسبان لتاريخ الأندلس وبخاصة تاريخ الدولة الأموية وعلاقتها بتاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية ويحمل المقال عنوانًا دالًا هو: «أمويّو دمشق، أمويّو قرطبة: مصير أسرة في الدراسات التاريخية الإسبانية في العصور الوسطى» ومن خلال هذا العنوان يتضح أن اهتمام الباحثة لا ينصب فقط على الدولة الأموية باعتبارها مرحلة تاريخية وإنما على الصورة التي رسمتها الكتابات التاريخية الإسبانية لهذه الدولة والطريقة التي أُدرج بها تاريخ المسلمين في الأندلس ضمن التاريخ الإسباني والمقال جزء من مؤلف جماعي مخصص لدراسة اختلاف وتطور الكتابات حول الأندلس بين القرنين السابع عشر والحادي والعشرين تنطلق إتشيفاريا من ملاحظة أساسية تتمثل في أن الفترة الأولى من تاريخ الأندلس أي مرحلة الولاة لم تحظَ بالاهتمام الكافي في الدراسات الإسبانية ويرجع ذلك حسب الباحثة إلى النظرة السلبية التي سادت عند بعض المستعربين تجاه هذه المرحلة. فقد كان التركيز غالبًا على قيام الإمارة الأموية في قرطبة مع عبد الرحمن الداخل بينما لم تحظَ المرحلة السابقة التي بدأت عقب الفتح الإسلامي بالمكانة نفسها في كتب تاريخ العصور الوسطى الإسبانية وتعتبر الباحثة أن هذا الأمر أدى إلى حدوث خلل في فهم نشأة الأندلس لأن تاريخها لا يمكن أن يبدأ فعليًا مع عبد الرحمن الداخل وإنما ينبغي ربطه أيضًا بالفتح وبعملية التنظيم الأولى للأراضي المفتوحة وتكمن أهمية هذه الفكرة في أن الباحثة ترفض الفصل بين تاريخ الأندلس وتاريخ العالم الإسلامي فالأمويون في دمشق حسب طرحها لم يكونوا عنصرًا خارجيًا عن تاريخ الأندلس بل كان لهم دور أساسي في فتحها وفي بدايات تنظيمها بوصفها أرضًا إسلامية ومن ثم فإن دراسة الأندلس تقتضي وضعها ضمن السياق الأوسع للتاريخ الإسلامي[1] بدل النظر إليها باعتبارها ظاهرة منفصلة عن المشرق الإسلامي وهذا الطرح يمثل تحولًا مهمًا في الدراسات الإسبانية لأنه يجعل تاريخ الأندلس جزءًا من تاريخ العالم الإسلامي وفي الوقت نفسه جزءًا من تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية ومن الجوانب المهمة في المقال أيضًا

[1] Ana Echevarría Arsuaga, «Omeyas de Damasco, Omeyas de Córdoba. El destino de una dinastía en el medievalismo español», in Manuela Marín (dir.), Al-Andalus/España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI, Madrid, Casa de Velázquez, 2009, pp. 231-246

انتقاد المناهج التقليدية التي تناولت تاريخ الإسلام في الكتب الجامعية الإسبانية فالباحثة تقوم بتحليل بنيوي ومضموني لكتب تاريخ العصور الوسطى المستخدمة في الجامعات الإسبانية وتحاول الكشف عن مكانة الأمويين فيها وعن الأسباب التي جعلت تاريخهم يُدرس أحيانًا بصورة منفصلة أو ناقصة كما تناقش موقع الأمويين ضمن التاريخ الوسيط العالمي كما يُدرّس من منظور إسباني وتكشف عن المشكلات المنهجية الناتجة عن وقوع تاريخ الأمويين بين مجالين علميين هما الاستعراب والدراسات الوسيطة وهنا تظهر قيمة المقال بالنسبة لدراسة صورة الحضارة الإسلامية في الكتابات الإسبانية فإتشيفاريا لا تكتفي بعرض الأحداث وإنما تكشف عن الطريقة التي تعامل بها المؤرخون مع الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية ومن خلال نقدها للدراسات القديمة يمكن ملاحظة انتقال الدراسات الإسبانية الحديثة من التعامل مع الأندلس باعتبارها مرحلة هامشية أو منفصلة عن التاريخ الإسباني إلى محاولة فهمها باعتبارها مكوّنًا أساسيًا من تاريخ إسبانيا في العصور الوسطى ولذلك فإن أهمية المقال لا تكمن في الحديث عن الأمويين فقط بل في كشف تطور النظرة الإسبانية إلى الإسلام والأندلس كما يبرز في المقال البعد الحضاري للأندلس بصورة غير مباشرة فعندما تؤكد الباحثة ضرورة إدماج الفترة الإسلامية الأولى ضمن الخطاب التاريخي الإسباني فإنها ترفض اختزال الوجود الإسلامي في الأندلس في الجانب العسكري أو السياسي فقط فقيام الحكم الإسلامي وما رافقه من تنظيم للأراضي المفتوحة يمثل مرحلة تأسيسية لفهم المجتمع الأندلسي وتطوره ومن هنا يمكن اعتبار المقال شاهدًا على تطور الدراسات الإسبانية الحديثة نحو الاعتراف بأهمية التجربة الإسلامية في تشكيل تاريخ شبه الجزيرة الإيبيرية ومن الناحية المنهجية اعتمدت الباحثة على النقد التاريخي للكتابات والمناهج الدراسية وليس على سرد الأحداث التاريخية فحسب[1] فهي تدرس كيفية بناء المعرفة حول الأمويين داخل الدراسات الإسبانية وتبحث عن مواطن النقص والاختلال فيها. وهذا ما يجعل المقال مناسبًا جدًا للبحث في الاستعراب الإسباني وتطور الكتابة التاريخية حول الأندلس، لأنه يسمح

[1] Ana Echevarría Arsuaga, «Omeyas de Damasco, Omeyas de Córdoba…..» , Op,Cit,pp.231-246

للباحث بالانتقال من سؤال «ماذا حدث في الأندلس؟» إلى سؤال أكثر أهمية في الدراسات التاريخية: كيف كتب المؤرخون الإسبان تاريخ الأندلس؟ ولماذا اختلفت نظرتهم إليه عبر الزمن[1].

خوسيه أنطونيو غونزاليس ألكانتود José Antonio González Alcantud :

الأندلس والمدن الجنوبية: الخلود وتحول الأساطير التأسيسية

يعد هذا المقال من الدراسات التي تتناول الأندلس من زاوية تتجاوز السرد التاريخي التقليدي لأحداثها السياسية والعسكرية إذ يهتم الكاتب بصورة الأندلس في الذاكرة التاريخية والثقافية وبكيفية انتقالها من كونها تجربة تاريخية محددة إلى ما يشبه الأسطورة التي استمرت في الوعي الجماعي بعد انتهاء الحكم الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة في البحث في الكتابات الإسبانية اللاحقة حول الأندلس، لأنها تكشف أن الاهتمام الإسباني بالأندلس لم يكن محصورًا في دراسة سقوطها أو استرداد المدن الإسلامية، وإنما امتد إلى البحث في مظاهر الحضارة التي نشأت فيها وفي الأسباب التي جعلت صورتها تستمر في الذاكرة وتتخذ طابعًا أسطوريًا ينطلق الكاتب من فكرة أساسية تتمثل في وجود علاقة وثيقة بين التاريخ والأسطورة في تشكيل صورة الأندلس فالأندلس في نظره لم تبق مجرد مرحلة تاريخية انتهت بسقوط غرناطة سنة 1492م، وإنما تحولت تدريجيًا إلى ذاكرة ثقافية ذات حضور مستمر ومن هنا جاء تعبير «الخلود الأسطوري للأندلس» الذي يعكس محاولة لفهم أسباب بقاء الأندلس في المخيال الثقافي رغم زوال نظامها السياسي ويكشف هذا الطرح عن أهمية الذاكرة في إعادة بناء الماضي إذ إن المجتمعات لا تحتفظ بالماضي كما وقع بصورة محايدة وإنما تعيد تفسيره وانتقاء بعض عناصره وإبرازها فتتشكل بذلك صور تاريخية جديدة قد تتجاوز أحيانًا حدود الواقع التاريخي نفسه وفي هذا السياق يخصص الكاتب جانبًا مهمًا من دراسته لإبراز تفوق الثقافة الأندلسية، وهو ما يظهر من خلال العنوان الفرعي «المرحلة الأولى: إثبات تفوق الثقافة الأندلسية». ويُعد هذا الاختيار ذا دلالة مهمة لأنه يدل على أن صورة الأندلس التي يناقشها الكاتب لا تقوم فقط على الحنين إلى ماضٍ سياسي، وإنما ترتبط أساسًا بالمنجز الحضاري الذي حققه المسلمون في الأندلس. ولذلك يركز على عهود عدد من الحكام الأمويين،

[1]José Antonio González Alcantud, «Al-Andalus y las ciudades meridionales. Intemporalidad y transformación de los mitos de fundación», in Manuela Marín (dir.), Al-Andalus/España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI, Madrid, Casa de Velázquez, 2009 ,pp. 25-28.

وخاصة عبد الرحمن الثالث والحكم الثاني، باعتبارها مرحلة بلغت فيها الحضارة الأندلسية مستوى متقدمًا من الازدهار ويبرز الكاتب الأندلس باعتبارها مجتمعًا استطاع تجاوز الأزمات والاضطرابات وتحقيق نهضة واسعة في مختلف المجالات. فهو يشير إلى تطور الزراعة والصناعة والتجارة والفنون والعلوم كما يتحدث عن تنظيم الحقول الزراعية ونظام الري وما ارتبط بذلك من ازدهار اقتصادي واجتماعي ولا يقتصر الوصف على الجانب الاقتصادي، وإنما يمتد إلى الحياة اليومية ومستوى الرفاه والنظافة وتوفر المنتجات الزراعية والفواكه، وهي عناصر يستخدمها الكاتب لإظهار درجة التقدم التي بلغها المجتمع الأندلسي وتكمن أهمية هذا الطرح في أن الكاتب لا يقدم الازدهار الأندلسي بوصفه ظاهرة محدودة أو استثنائية في مجال واحد، بل باعتباره منظومة حضارية متكاملة شملت الاقتصاد والمجتمع والعمران والثقافة وهذا يعكس صورة إيجابية للحضارة الإسلامية في الأندلس، إذ تظهر الأندلس في النص باعتبارها فضاءً استطاع أن يجمع بين القوة السياسية والتنظيم الاقتصادي والتقدم الثقافي. وبالتالي فإن الكاتب يساهم، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في تجاوز النظرة التي تختزل تاريخ الأندلس في الصراع بين المسلمين والمسيحيين ليوجه الاهتمام نحو طبيعة الحضارة التي نشأت في ظل الحكم الإسلامي ويزداد هذا الاتجاه وضوحًا عند حديث الكاتب عن الثقافة والتعليم في الأندلس فهو يبرز رعاية الثقافة في عهد الحكم الثاني، ويربط ازدهارها باهتمام الخليفة بالكتب والمصادر والمعرفة كما يشير إلى المكتبة التي ارتبطت بهذا العهد، وهو ما يعكس المكانة التي احتلتها الكتابة والكتاب في المجتمع الأندلسي ومن خلال هذه الإشارة يقدم الكاتب صورة عن الأندلس باعتبارها مركزًا للمعرفة وليس مجرد مركز سياسي أو عسكري وتعتبر الفقرة التي تتناول انتشار التعليم والمدارس من أبرز أجزاء النص التي تكشف عن هذه الصورة الإيجابية. فالكاتب يشير إلى وجود المدارس الابتدائية وانتشار القراءة والكتابة كما يتحدث عن تدريس اللغة والبلاغة. وهذه الإشارات لها أهمية كبيرة من الناحية التاريخية،[1] لأنها تجعل التعليم أحد العناصر الأساسية في تفسير قوة الثقافة الأندلسية واستمرار تأثيرها فازدهار الحضارة لا يرتبط فقط بوجود العلماء والكتب وإنما يحتاج إلى بيئة تعليمية قادرة على إنتاج المعرفة ونقلها إلى الأجيال ومن خلال ذلك يمكن القول إن الكاتب يرسم صورة للأندلس باعتبارها مجتمعًا معرفيًا حيث لم تكن الثقافة مقتصرة على فئة ضيقة من النخبة بل كانت لها مؤسساتها ووسائلها وانتشارها داخل المجتمع وهذا التصور يساهم في إبراز خصوصية التجربة الأندلسية مقارنة

[1] José Antonio González Alcantud, «Al-Andalus y las ciudades meridionales… »Op,Cit,pp25-28

بمجتمعات أوروبية أخرى في العصور الوسطى إذ يركز الكاتب على اتساع دائرة القراءة والتعليم وعلى الاهتمام بالعلوم واللغة والكتابة كما أن الحديث عن المكتبات والكتب والمدارس يكشف عن عنصر آخر في صورة الأندلس يتمثل في المكانة التي احتلتها المعرفة في مشروع الحكم فالثقافة هنا ليست مجرد نشاط فردي للعلماء بل ترتبط برعاية السلطة وتشجيعها للعلماء والكتاب وجمع الكتب ومن ثم يمكن فهم ازدهار الثقافة الأندلسية باعتباره نتيجة تفاعل بين الاستقرار السياسي والاهتمام بالعلم والمؤسسات الثقافية وهذا يفسر من وجهة نظر الكاتب لماذا أصبحت الأندلس لاحقًا جزءًا أساسيًا من الذاكرة الحضارية الإسبانية ومن أهم الأفكار التي يطرحها النص كذلك فكرة «الأسطورة الخالدة للأندلس». فالكاتب يرى أن مظاهر الكرم والإحسان والحكم الرشيد والازدهار الثقافي ساهمت في ترسيخ صورة الأندلس المزدهرة والمتألقة وهنا ينتقل النص من مجرد وصف التاريخ إلى تحليل عملية تكوين الصورة التاريخية فالأندلس لا تبقى في الذاكرة بسبب أحداثها السياسية فقط وإنما بسبب مجموعة من الصفات التي ارتبطت بها مثل الازدهار والعلم والثقافة والتنظيم والرخاء ويكتسب مفهوم «الأسطورة» هنا أهمية منهجية فالكاتب لا يستخدمه بالضرورة بمعنى أن كل ما قيل عن الأندلس خيالي أو غير صحيح وإنما يشير إلى الطريقة التي أعيد بها تشكيل صورة الأندلس في الذاكرة. فحين تتراكم الأوصاف الإيجابية حول مدينة أو حضارة معينة تتحول هذه الأوصاف مع مرور الزمن إلى صورة نموذجية يصعب فصلها عن الواقع التاريخي. ولذلك تصبح الأندلس في المخيال الإسباني فضاءً يجمع بين التاريخ والذاكرة والأسطورة ومن هذه الزاوية، يمكن ربط المقال بموضوع سقوط الأندلس إذ إن إبراز عظمة الحضارة التي سبقت السقوط يساعد على فهم طبيعة التحول الذي عرفته شبه الجزيرة الإيبيرية[1] فالسقوط لم يكن نهاية كيان سياسي ضعيف فحسب، بل كان أيضًا نهاية تجربة حضارية تركت آثارًا عميقة في المجتمع والثقافة والعمران ولذلك فإن دراسة صورة الحضارة الأندلسية في الكتابات الإسبانية اللاحقة تسمح بفهم الكيفية التي أعيد بها تفسير مرحلة الحكم الإسلامي بعد انتهائها كما أن هذه الدراسة تكشف عن وجود نوع من الازدواجية في الكتابة عن الأندلس فمن جهة ارتبط تاريخها في الرواية الإسبانية التقليدية بفكرة الاسترداد المسيحي وسقوط الممالك الإسلامية ومن جهة أخرى ظهرت كتابات لاحقة اهتمت بإبراز الإنجازات الحضارية للمسلمين وخاصة في مجالات العلوم والثقافة والعمران وتكمن أهمية مقال ألكانتود في أنه يركز على الجانب الثاني ويبحث

[1] José Antonio González Alcantud, «Al-Andalus y las ciudades meridionales… »Op,Cit,pp25-28

في استمرار صورة الأندلس بوصفها حضارة ذات قيمة ثقافية تتجاوز حدود الانتماء السياسي والديني ومن ثم، فإن صورة المسلم في هذا السياق لا تظهر فقط باعتباره خصمًا عسكريًا في الصراع السياسي وإنما يظهر أيضًا بوصفه منتجًا للحضارة والمعرفة وهذه النقطة مهمة جدًا في دراسة تطور الكتابات الإسبانية حول الأندلس لأنها تشير إلى انتقال نسبي من الكتابة التي تركز على الصراع الديني والعسكري إلى كتابة أكثر اهتمامًا بالمجال الحضاري والثقافي ولا يعني ذلك أن الكاتب يتخلى عن التاريخ السياسي أو يتجاهل الصراع الذي عرفته الأندلس، وإنما يعيد ترتيب الأولويات في تفسير استمرار حضورها. فبدل أن يكون سقوطها هو النقطة النهائية في القصة تصبح الحضارة التي نشأت فيها عنصرًا أساسيًا لفهم استمرار ذكراها ولذلك فإن عنوان «الخلود الأسطوري للأندلس» يعكس فكرة أن سقوط الحكم الإسلامي لم يؤدِّ إلى اختفاء الأندلس من الذاكرة، بل ربما ساهم في تحويلها إلى موضوع دائم للاستحضار وإعادة التفسير ويظهر كذلك أن مدينة قرطبة تحتل مكانة مركزية في هذه الصورةباعتبارها نموذجًا للمدينة الأندلسية المزدهرة فقد ارتبط عهد الحكم الثاني بازدهار المكتبات والثقافة والتعليم وأصبحت قرطبة في هذا التصور مركزًا حضاريًا يتجاوز حدود الأندلس نفسها ومن خلال التركيز على قرطبة يقدم الكاتب نموذجًا مكانيًا للحضارة الأندلسية بحيث تصبح المدينة شاهدًا على مستوى التطور الذي وصلت إليه التجربة الإسلامية في شبه[1] الجزيرة الإيبيرية ومن الناحية المنهجية فإن قيمة المقال تكمن في اعتماده على الذاكرة والصورة الثقافية إلى جانب التاريخ، فهو لا يبحث فقط في «ما حدث» وإنما يهتم أيضًا بالسؤال حول «كيف تذكّر الناس ما حدث؟» و«كيف تحولت الأندلس إلى رمز ثقافي؟» وهذا النوع من المقاربة مفيد جدًا لدراسة الكتابات الإسبانية اللاحقة، لأنه يسمح بالكشف عن تغير النظرة إلى الماضي الأندلسي عبر الزمن وعليه يمكن اعتبار هذا المقال شاهدًا على مرحلة من مراحل تطور الكتابة عن الأندلس حيث لم تعد الحضارة الإسلامية موضوعًا للدراسة باعتبارها ماضيًا يجب تجاوزه فقط، بل أصبحت موضوعًا لإعادة القراءة والتقدير ويظهر ذلك بوضوح في تركيز الكاتب على العلوم والتعليم والثقافة والكتب والمدارس والازدهار الاقتصادي والاجتماعي وهي كلها عناصر تؤدي إلى تشكيل صورة إيجابية عن المجتمع الأندلسي.

[1] José Antonio González Alcantud, «Al-Andalus y las ciudades meridionales… »Op,Cit,pp25-28

الخاتمة

الخاتمة:

من خلال تحليل المصادر الإسبانية التي تناولت سقوط الأندلس يتبين أن المؤرخين الإسبان لم ينظروا إلى سقوط غرناطة بوصفه مجرد نهاية للإمارة النصرية، بل اعتبروه نقطة تحول حاسمة في تاريخ إسبانيا وأوروبا الغربية فقد مثل الانتصار الكاثوليكي بداية مرحلة جديدة من توحيد الدولة الإسبانية وإرساء سياسة خارجية أكثر وضوحًا وطموحًا مما جعل سقوط غرناطة خطوة في مشروع سياسي يتجاوز مجرد استعادة إقليم مفقود.

كما تكشف هذه المصادر عن أن العلاقة بين المسلمين والمسيحيين لم تُعرض باعتبارها مجرد مواجهة عسكرية وإنما باعتبارها صراعًا تاريخيًا طويل الأمد تداخلت فيه الاعتبارات السياسية والدينية والقانونية ولذلك حاول العديد من المؤرخين الإسبان إضفاء شرعية تاريخية وقانونية على الحرب من خلال التأكيد على أن ملوك قشتالة كانوا يسعون إلى استرجاع أراضٍ يعدونها حقًا موروثًا عن المملكة القوطية وهو ما جعل الحرب تبدو استمرارًا لمسار تاريخي أكثر من كونها حربًا عابرة

وتظهر كذلك أن حادثة مدينة الزهراء سنة 1481م لم تقدم بإعتبارها السبب الحقيقي للحرب وإنما عدت الشرارة المباشرة التي سرعت اندلاعها في حين كانت دوافعها الفعلية أعمق من ذلك وترتبط بالمشروع السياسي الذي تبناه الملكان الكاثوليكيان لإكمال الوحدة الترابية وإنهاء الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية. ومن النتائج المهمة التي تؤكدها هذه الكتابات أن العامل الديني رغم أهميته لم يكن وحده المحرك الأساسي للحرب، بل جاء متداخلًا مع عوامل سياسية واستراتيجية واقتصادية ومع ذلك فقد نجح الملكان الكاثوليكيان في توظيف الخطاب الديني لتعبئة المجتمع المسيحي وإضفاء طابع "الحرب المقدسة" على الصراع الأمر الذي أكسبهما دعم الكنيسة والبابوية وشجع القوى المسيحية الأوروبية على تأييد مشروعهما. وتبرز المصادر أيضًا الدور الكبير الذي لعبته الكنيسة في تحقيق الانتصار، إذ لم يقتصر دورها على الدعم الروحي بل شاركت في تعبئة الرأي العام وتوفير الشرعية الدينية للحرب وحشد الموارد اللازمة لاستمرارها كما أن العلاقة الوثيقة بين التاج القشتالي والبابوية أسهمت في منح الحرب بعدًا مسيحيًا عامًا وجعلتها قضية تخص العالم المسيحي بأسره لا قضية قشتالية محلية فقط

وتشير هذه المصادر كذلك إلى أن الحرب ضد غرناطة كانت جزءًا من مشروع توسعي أوسع إذ لم يتوقف الطموح الإسباني عند استكمال السيطرة على شبه الجزيرة الإيبيرية، بل امتد إلى الضفة الجنوبية للبحر المتوسط بهدف السيطرة على الموانئ الإستراتيجية في شمال إفريقيا وتأمين الملاحة في البحر المتوسط ومواجهة التوسع العثماني، ومن ثم فإن سقوط غرناطة لم يكن نهاية مرحلة فحسب بل كان بداية مرحلة جديدة من التوسع الإسباني خارج حدود الأندلس كما تكشف الكتابات الإسبانية عن أن الانتصار ارتبط أيضًا بعوامل معنوية وفكرية تمثلت في ترسيخ الشعور بالوحدة الدينية والسياسية وتعزيز الروح القومية الناشئة وهو ما جعل انتصار سنة 1492م رمزًا لتأسيس الدولة الإسبانية الحديثة في الوعي التاريخي الإسباني. وفي المجمل يتضح أن أغلب المصادر الإسبانية على اختلاف اتجاهاتها تتفق على أن سقوط الأندلس لم يكن نتيجة سبب واحد، وإنما جاء نتيجة تفاعل عوامل سياسية وعسكرية ودينية واقتصادية واستراتيجية، مع اختلاف المؤرخين في تحديد العامل الأكثر تأثيرًا، كما يظهر ميل واضح لدى عدد من هذه الكتابات إلى تبرير الحرب وإضفاء الشرعية عليها، وربطها بمشروع بناء الدولة الإسبانية وهو ما يعكس طبيعة الرؤية الإسبانية لسقوط الأندلس بوصفه حدثًا مؤسسًا في التاريخ الوطني الإسباني.

إن دراسة الأندلس في الكتابات الإسبانية الحديثة شهدت تطورًا ملحوظًا انتقلت معه من النظرة التقليدية التي ركزت على الصراع الديني والسياسي إلى مقاربات أكثر اهتمامًا بتاريخ الحضارة الإسلامية وإسهاماتها في شبه الجزيرة الإيبيرية كما أظهرت بعض الدراسات تقديرًا واضحًا لما حققه المسلمون في مجالات العلم والثقافة والعمران وبذلك ساهمت المدرسة الاستعرابية في إعادة قراءة تاريخ الأندلس وسقوطها وإبراز تعقيد أسبابه وتعدد العوامل التي أسهمت في نهايتها.

قائمة الملاحق

الملحق رقم 01: لوحة تسليم غرناطة للفنان الاسباني فرانسيكسو براديا أي اورتيث 1882 م زيت على قماش قصر مجلس الشيوخ الاسباني, مدريد



قائمة المراجع والمصادر

قائمة المراجع والمصادر

أولا: المصادر

3. القرآن الكريم

- القرآن الكريم، سورة الإسراء، الآية رقم 16.

2.المصادر والكتب التاريخية العربية

- أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ/1632م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج1.
- ابن الخطيب (ت 776هـ)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت، ج4.
- مؤلف مجهول، **نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر**، تح: فريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2002.
- عبد الرحمن بن خلدون (808هـ)، **ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج4، مرا: سهيل زكار، دار الفكر، د.ط، بيروت، 1421هـ/2000م.
- عبد السلام الترمانيني، **أحداث التاريخ الإسلامي بترتيب السنين**، ج4، ددن، ط1، القاهرة، 1417هـ/1997م.
- شهاب الدين عبد الله ياقوت الحموي (ت 626هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1977، مج4.

3.الكتب والدراسات العربية الحديثة

- أحمد مختار العبادي، **صورة من حياة الحرب والجهاد في الأندلس**، منشأة المعارف، الإسكندرية، د.ط، 2000م.

- أحمد المختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**.
- الراغب السرجاني، **قصة الأندلس من الفتح حتى السقوط**، ج1، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1432هـ/2011م.
- عبد الحميد العبادي، **المجمل في تاريخ الأندلس**، دار القلم، ط1، بيروت، 1964.
- عبد الحليم عويس، **التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس**، دار الصحوة للنشر، ط1، القاهرة، 1414هـ/1994م.
- علي حسين الشطشاط، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، دار قباء، د.ط، القاهرة، 2001م.
- محمد عبد الله عنان، **نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين**، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ/1997م.
- محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس**، ج7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997.
- واشنطن إيرفينغ، **سقوط غرناطة**، تع: إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر، 1988م.

ثانيا: الكتب والمصادر الأجنبية

- Luis del Marmol Carvajal, **Historia del rebelion y castigo de los moriscos del reino de Granada**, Segunda impresión, libro 1, Granada.
- Alfonso de Palencia, **Anales de la Guerra de Granada**, ed. digital, Biblioteca Virtual Miguel de Cervantes, 1999, basada en la edición de Madrid, 1909.
- Hernando del Pulgar, **Cronica de los senores reyes catolicos**, Madrid : Agencia Estatal Boletín Oficial del Estado, 2024.
- Jeronimo Zurita, **Anales de la corona de Aragon**, Tomo 1, Zaragoza : Lorenzo de Robles, 1610.
- Gonzalo de Illescas, **Segunda parte de la historia pontifical y Catolica**, Barcelona, Hieronymo Genoues, 1596.
- Estebn de Garibay y Zamalloa, **Compendio Historial de las Chronicas y Universal Historia de todos los Reynos de Espana**, Tomo 2, Barcelona, Sebastian de Cormellas, 1628.
- Juan de Mariana, **Historiae de Rebus Hispaniae Libri XXX**, Moguntiae, 1619.
- Digo Ortiz de Zuniga, **Annales eclesiasticos y seculares de la muy noble y muy leal ciudad de Sevilla**, Madrid : Imprenta Real, 1677.

ثالثا: المقالات العلمية

- فؤاد كبداني، شريف الدين بن دوبة، «المراحل الأخيرة للمسلمين ببلاد الأندلس بأقلام إسبانية«، **مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية**، مج 07، ع 01، 2021، ص 571-575.
- García, B. L. (2018). El arabismo fuera del Centro de Estudios Históricos. La correspondencia de Julián Ribera con José Castillejo. **Revista de Estudios Internacionales Mediterráneos (REIM)**, (25), 162-184.
- Burillo, F. d. (2008). Nuevas y viejas fuentes sobre los « Beni Codera ». **Miscelánea de estudios árabes y hebraicos. Sección Árabe-Islam**, (57), 425-450.
- Emilio García Gómes, V. 1. (1950). Homenaje a don Francisco Codera (1836-1917). **Al-Andalus**, 15(2), 263-274.
- Benumey, R. G. (2008). Arabismo y arabistas españoles en la Alianza de Civilizaciones. **Diálogo mediterráneo**, (47), 56-57.
- Bedarnia Mbarka, C. R.-E.-6.-1. (2015). Analises linguisticos de los arabizmos en la lengua espanola. **Candil. Revista del Hispanismo**, (15), 69-104.

رابعا: الفصول والمقالات ضمن الكتب الجماعية

- Pascal BURESI ،«Al-Andalus entre Orient et Occident : l'invention des origines» ، dans Manuela MARÍN (éd.), **Al-Andalus / España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI** ،Madrid ،Casa de Velázquez ،2009 ،pp. 119-129.
- Helena de Felipe ،«Los estudios sobre bereberes en la historiografía española : Arabismo y africanismo» ،en Manuela Marín (ed.) ،**Al-Andalus/España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI** ،Madrid ،Casa de Velázquez ،2009 ، p. 105.
- Gabriel Martínez-Gros ،«De Reinhart Dozy à Évariste Lévi-Provençal ou de l'ère des révolutions à celle de l'islamologie» ،in Manuela Marín (dir.) ،**Al-Andalus/España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI** ،Madrid ،Casa de Velázquez ،2009 ، pp. 51-65.
- María Jesús Viguera Molins ،«Al-Andalus y España : Sobre el esencialismo de los Beni Codera» ،in Manuela Marín (coord.) ،**Al-Andalus/España : Historiografías en contraste : siglos XVII-XXI** ،Madrid ،Casa de Velázquez ،2018 ،pp. 67-81.
- Ana Echevarría Arsuaga ،«Omeyas de Damasco, Omeyas de Córdoba. El destino de una dinastía en el medievalismo español» ،in Manuela Marín (dir.) ،**Al-Andalus/España. Historiografías en contraste : siglos XVII-XXI** ،Madrid ،Casa de Velázquez ،2009 ،pp. 231-246.
- José Antonio González Alcantud ،«Al-Andalus y las ciudades meridionales. Intemporalidad y transformación de los mitos de fundación» ،in Manuela Marín (dir.) ، **Al-Andalus/España. Historiografías en contraste. Siglos XVII-XXI** ،Madrid ،Casa de Velázquez ،2009 ،pp. 25-28.

فهرس الأعلام

ملوك الطوائف 10

محمد بن سعد (أبو عبد الله الصغير) 13

الزغل 26

فهرس الأماكن

غرناطة 12

مملكة بني نصر..... 12

قمارش 14

مملكة غرناطة 16

الزهراء 30

فهرس الموضوعات

اهداء .....-

شكر وعرفان .....-

قائمة المختصرات : .....-

مقدمة .....أ

الفصل الأول: سقوط الأندلس من خلال المصادر العربية – كتاب نبذة العصر أنموذجا – 8

تمهيد: 9

مظاهر الترف والإنحراف الإجتماعي وأثرها في إضعاف مملكة غرناطة: 14

الأزمة المالية وأثرها في إضعاف مملكة بني نصر: 17

الأزمة الإقتصادية وتدهور الأوضاع المعيشية: 20

غياب الدعم الإسلامي الخارجي: 21

الفصل الثاني: سقوط الأندلس من خلال المصادر الإسبانية التاريخية (القرنان الخامس عشر إلى السابع عشر) 24

لويس ديل مارمول كاربخال –luis del Marmol carbajal: 25

Alfonso fernandez de palencia:ألفونصو فيرناندیز دي بالينثيا_ 28

– Jerónimo Zurita y Castro خيرونيمو زوريتا إي كاسترو 33

Gonzalo de Illescasغونزالو دي إليسكاس– 35

إستيبان دي غاريباي إي زمايووا :Esteban de Garibay y Zamalloa 39

خوان دي ماريانا Juan de Marian : 44

Diego Ortiz de Zúñiga–ديبغو أورتيز دي زونييغا 48

الفصل الثالث: سقوط الأندلس في المصادر الإسبانية الحديثة (مدرسة فرانسيسكو كوديرا و تلامذته) 51

باسكال بوريزيpascal buresi: الأندلس بين الشرق والغرب: اختراع الأصول: 54

هيلينا دي فيليبي Helena de felipe :الدراسات الإسبانية للبربر 57

غابرييل مارتينيز–غروسGabriel Martinez–Gros: من رينهارت دوزي إلى إيفاريست ليفي–بروفنسال، أو من عصر الثورات إلى عصر الإسلاميات 59

الخاتمة 71

قائمة المراجع والمصادر 76

فهرس المحتويات ..... **Erreur ! Signet non défini.**

ملخص ..... **Erreur ! Signet non défini.**

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع **سقوط الأندلس من خلال المصادر والكتابات الإسبانية** مع التركيز على المرحلة الأخيرة من تاريخ مملكة بني نصر وسقوط غرناطة سنة 1492م اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي وقسمت إلى ثلاثة فصول خصص الأول لدراسة سقوط الأندلس من خلال كتاب *نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر* بينما تناول الثاني رواية عدد من المؤرخين الإسبان خلال القرنين الخامس عشر والسابع عشر أما الثالث فركز على مدرسة فرانسيسكو كوديرا وتلامذته وتطور الدراسات الاستعرابية الحديثة وخلصت الدراسة إلى أن سقوط الأندلس كان نتيجة تداخل عوامل سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية ودينية كما بينت أن الكتابة الإسبانية حول الأندلس تطورت من روايات يغلب عليها الطابع الديني والسياسي إلى دراسات أكثر اهتمامًا بالمصادر العربية وبالجوانب الحضارية والتاريخية للأندلس.

الكلمات المفتاحية :سقوط الأندلس، غرناطة، الاستعراب الإسباني.

Abstract: This study addresses the topic of **the Fall of Al-Andalus through Spanish sources and writings**, with a focus on the final stage of the history of the Nasrid Kingdom and the fall of Granada in 1492. The study adopted the historical method and the descriptive-analytical method and was divided into three chapters. The first chapter examined the Fall of Al-Andalus through the book *Nubdhatu al-Asr fi Akhbar Muluk Bani Nasr*, while the second addressed the accounts of a number of Spanish historians during the fifteenth and seventeenth centuries. The third chapter focused on the school of Francisco Codera and his students, as well as the development of modern Orientalist studies. The study concluded that the Fall of Al-Andalus resulted from the interplay of political, military, economic, social, and religious factors. It also demonstrated that Spanish writings on Al-Andalus evolved from accounts dominated by religious and political perspectives into studies that showed greater interest in Arabic sources and in the cultural and historical dimensions of Al-Andalus.

Keywords: Fall of Al-Andalus, Granada, Spanish Orientalism.